جامعة عبد الرحمان ميرة- بجاية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

البعد الفلسفي في رواية " لبيك: حج الفقراء لمالك بن نبي"

مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبة: **إشراف الأستاذ(ة)**

مزياني رحمة **إباون سعيد**

لجنة المناقشة:

الأستاذ **حسين خالفي**.....جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية ..... رئيسا

الأستاذ **سعيد إباون**.....جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية.....مشرفا ومقررا

الأستاذة **ليندة مسالي**.....جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية..... ممتحنا

السنة الجامعية: 2024/2023

جامعة عبد الرحمان ميرة- بجاية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

البعد الفلسفي في رواية " لبيك: حج الفقراء لمالك بن نبي"

مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبة: **إشراف الأستاذ(ة)**

مزياني رحمة **إباون سعيد**

لجنة المناقشة:

الأستاذ **حسين خالفي**.....جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية ..... رئيسا

الأستاذ **سعيد إباون**.....جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية.....مشرفا ومقررا

الأستاذة **ليندة مسالي**.....جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية..... ممتحنا

السنة الجامعية: 2024/2023

بسم اللہ الرحمن الرحیم

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الله الكريم، وبعد:

أحمد الله تعالى وحده الذي وفقني في إتمام هذا العمل، فالحمد والشكر للذي يسر البدايات وأكمل النهايات وبلّغنا الغايات، لله سبحانه ما تم شيء إلاّ بإذنه وما ختم إلاّ بفضله.

لا يسعني في هذا المقام إلاّ التقدم بخالص الشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف الأستاذ " إباون سعيد " الذي كان خير عون لي في انجاز هذه المذكرة بما قدمه من توجيهات ونصائح وإرشادات للعمل خطوة بخطوة، وأقول لك جزاك الله خيرا، وجعل إخلاصك وصدقك في ميزان حسناتك.

كما أشكر كل من ساهم من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا البحث.

إهداء

أهدي بحثي هذا إلى من شجعني طوال عمري، وعلّمني كيف أقف صامدة قوية" أبي الغالي ".

وإلى من تعلمت منها أن أكون صبورة، ومن بها أعلو وأرتكز، لا خلا منك مكان" أمي الغالية ".

وإلى من بذلوا جهدا في مساعدتي وكانوا خير سند في الحياة" أخواتي ".

ولا أنسى أعز صديقة كانت مثلا لي في المثابرة والعمل، وشكرا لكل الوقت الذي قدمته لي " مواسن ليدية ".

وإلى كل من لهم الفضل الكبير في تشجيعي وتحفيزي ومنهم تعلمت المثابرة والإجتهاد أساتذتي الكرام طيلة مشواري الدراسي.

رحمة

مقـــــــدمة

يعد الأدب بمختلف أجناسه صورة مطابقة لمكتسبات الشعوب، وعليه فهو أحد أشكال التعبير الإنساني ومن خلاله ترتسم تجارب الأمم، وهو لسان المجتمعات، لأنّه يجسد المواقف الحياتية عبر التاريخ، من تأسيس للماضي وتوثيق للحاضر وتطلع للمستقبل.

أجناس الأدب مختلفة ومتعددة، ولعل من أبرزها جنس الرواية، فالرواية بفضل قوتها السردية تؤثر بشكل كبير على المجتمعات، لأنّها تعالج المشاكل الاجتماعية والنفسية وتدرس واقع الشعوب وتهدف إلى التعبير عن كل مشاعر الإنسان وهمومه المختلفة.

تحتل الفلسفة مكانة عظيمة داخل الأعمال الروائية، فهي تجيب عن أسئلتها في قالب جمالي تفاعلي، ومن خلال هذا التفاعل ظهر ما يسمّى بالرواية الفلسفية، وانتشرت عبر العالم وحتى في الأدب الجزائري، الذي نخصه بحديث عن أحد أبرز أعلامه ألا وهو المفكر" مالك بن نبي ".

لقد رسم " مالك بن نبي " في روايته " لبيك: حج الفقراء" المجتمع الذي يطمح إليه، مقدما فيها فلسفته بطريقة شملت جميع عناصر العمل الأدبي، فقد جمع بين الروح الفلسفية والروح الأدبية الإبداعية، ما جعل روايته تحمل أبعادا عديدة، ولعل أهمها البعد الفلسفي، حيث نجح في ربط الأدب بالفلسفة، لأنه كتب بروح كاتب وليس بروح فيلسوف. وجمع بين فلسفته والأسلوب الأدبي بتقنياته الجمالية.

وتعد رواية " لبيك حج الفقراء " التي نخصص لها هذه الدراسة الرواية الوحيدة لـ " لمالك بن نبي"، حيث سنحاول الوقوف عل التجليات الفلسفية فيها، ومن هنا جاءت دراستنا تحت عنوان:"البعد الفلسفي في رواية لبيك حج الفقراء "لمالك بن نبي".

وقد وقع اختيارنا لهذا الموضوع لأسباب عدة، منها أنّ الرواية لم تحظ بما يكفي من الدراسة والتحليل. فإذا لم تلق أعمال " مالك بن نبي " الفلسفية الاهتمام الكافي المنوط بأصالتها وجديتها، فلا عجب أن تذهب محاولاته الأدبية أدراج الرياح ولا تنال حقها من الدراسة.

يمس الموضوع الذي تناولته الرواية الواقع الجزائري إبان الاستعمار الفرنسي، وكما نعلم أنّ في ذلك الوقت كانت الثقافة الفرنسية هي السائدة، بعد طمس الثقافة الإسلامية ومحاولة تشويه الموروث الثقافي الإسلامي للجزائريين، وتبنى هذا الموضوع " بن نبي" كأديب فيلسوف.

وللإحاطة بموضوعنا هذا لابدّ لنا من طرح إشكالية تمحورت في عدة تساؤلات كان أهمها:

- كيف استطاع مالك بن نبي أن يمزج بين فلسفته وفن الرواية؟
- أين يكمن البعد الفلسفي في الرواية؟
- ما الداعي لتبني رواية بوعي فلسفي؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية اعتمدت على المنهج الموضوعاتي الذي نسعى من خلاله إلى تبيين أن رواية "لبيك: حج الفقراء" مرتبطة في جوهرها بعالم مالك بن نبي الفلسفي، ومحيطه الخارجي، المتمثل في البيئة الجزائرية بمكوناتها الدّينية والحضارية والثقافية.

وقد اتبعت خطة منهجية تضمنت مقدمة وفصلين وخاتمة.

جاء الفصل الأول موسوما: "تمازج الفلسفيّ والأدبيّ: أشكاله وتاريخه وأهدافه"، وأدرجت تحته ثلاث مباحث. تطرقت في المبحث الأول إلى مفهوم الفلسفة ونشأتها، والمبحث الثاني إلى الفلسفة والرواية: بحث في العلاقات، وأمّا المبحث الثالث، فقد خصصته لسيرة مالك بن نبي والمحاور الكبرى التي انبنت عليه فلسفته.

وأما الفصل الثّاني، فوسمته:" تمظهرات فلسفة مالك بن نبي في روايته "لبيك: حج الفقراء"، وقسمته إلى ثلاثة مباحث. خصصت المبحث الأول فيه لدراسة البعد الفلسفي على مستوى العتبات النصية، وأما المبحث الثاني، فخصصته لدراسة الأبعاد الفلسفية على مستوى المتن، وأما المبحث الثالث، فهو متعلق بالتيمات الفرعية لبناء الحضارة عند مالك بن نبي. وأنهيت البحث بخاتمة أوردت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

اعتمدت طيلة البحث على مجموعة من المصادر والمراجع كانت عونا لي في إثراء زادي المعرفي أذكر منها:

- شروط النهضة لـ " مالك بن نبي ".
- الظاهرة القرآنية لـ " مالك بن نبي ".
- ماهي الفلسفة؟ لـ " لحسين علي ".

وهذا البحث كغيره من البحوث لم يخل من الصعوبات التي واجهتني أثناء العمل، ومن أبرزها: صعوبة الحصول على دراسات سابقة حول هذا الموضوع أو معلومات عليه.

وفي الختام لا يسعني إلاّ أن أحمد الله بما يليق بجلاله على توفيقه لي، وأتوجه بالشكر الخالص للأستاذ المشرف " إباون سعيد " الذي كان نعم السند في تتبعه البحث وتصويب أخطائه وإرشاداته طيلة مدة الإشراف، وشكري موصول إلى لجنة المناقشة التي ستثري البحث وتقوّم أخطائي.

الفصل الأوّل:

تمازج الفلسفيّ والأدبيّ: أشكاله وتاريخه وأهدافه

تمهيد

شهدت الرواية في وقت مضى هجوم الفلاسفة، غير أنّ الروائيين والأدباء دافعوا عنها كجنس أدبي أصيل. لكن بعد ذلك ظهرت علاقة خاصة بين الرواية والفلسفة، بلغت الذروة حين انتشرت الرواية في القرن العشرين، ومن ثمّ استطاع الفلاسفة نقل فلسفتهم عبر الرواية أو من خلال تبني رؤية فلسفية في جوهر الرواية.

ولقد دار بين الفلسفة والرواية عتاب طويل خاصة بعد اتّهامات "أفلاطون"(Platon) للفنّ والأدب، وأما في العصر الحديث، فلقد أضحت الرواية عند كثير من الأدباء الفلاسفة، أمثال الروائي الفرنسي "ألبير كامو"(Albert Camus) ، فلسفة تمت صياغتها في صورة خيالية[1]، باعتبار أن الفلسفة تعتمد على التّعميم والتّجريد، بينما ينحو الأدب باتجاه التخصيص والتشخيص.

[1]–جهاد أبو هاشم، الرواية والفلسفة اتهامات بالثرثرة وعتاب لا يصل إلى القطيعة، جريدة العرب الاقتصادية الدولية، الرياض، 2020.

المبحث الأول: مفهوم الفلسفة ونشأتها وأنواعها

أولا: مفهوم الفلسفة:

الفلسفة في اللغة:

أصل كلمة فلسفة هو اختصار لكلمتين يونانيتين، هما: "فيلو، وتعني حبّ، و"سوفيا"، تعني الحكمة، أي أنّ معنى الفلسفة تعني حبّ الحكمة ".[2]وينسب بعض المؤرخين هذا الاصطلاح إلى "فيثاغورس"(Pythagore) ، الذي أطلق على نفسه لقب الفيلسوف، وحتّى "سقراط"(Socrate) نعت نفسه بالفيلسوف، ويرى آخرون أنّ مصطلح فلسفة يعود إلى "أفلاطون"(Platon). وليس المقصود بالفلسفة التي تعني الحكمة سداد الرأي وكيفية التدبير، وإنّما الحكمة عند أفلاطون(Platon)،هي المعرفة والنّظر في المسائل الكبرى للكون بقصد الوصول إلى عللها ومبادئها[3].

الفلسفة في الاصطلاح:

لقد حاول العديد من الفلاسفة القدماء والمحدثين على حد سواء، أن يحددوا تعريفا جامعا مانعا للفلسفة، لكن تعدد المدارس الفلسفية حال دون الاتفاق والإجماع على صياغة مفهوم واحد ونهائي لها، وعلى الرغم من هذا يمكن القول إنّ هذه المدارس جميعها تشترك في الفكرة التي مؤداها أنّ الفلسفة هي طريقة التفكير في مواضيع معيّنة مثل الأخلاق والوجود والقيم

[2]–حسين علي، ما هي الفلسفة؟ دار النشر التنوير والطباعة والنشر، بيروت، لبنان،2011، ص 11.

[3]– ينظر: رجب بودبوس، تبسيط الفلسفة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان بنغازي، ط 1، د. ت، ص 15–16.

والفكر ومعنى الأشياء، وقد تطور معنى الفلسفة في الفكر الإغريقي بتتابع المدارس الفكرية، وتغيير الظروف السياسية، فقد نظر طاليس والطبيعيون الأوائل إلى الفلسفة على أنها تفسير الوجود، والوقوف على طبيعته [...] وبذلك صار تعريف الفلسفة بأنها البحث في طبيعة الموجودات".[4]

سننتقل إلى تعاريف كبار الفلاسفة للفلسفة نبدأ بـ:

حسب الفيلسوف الكلاسيكي الشهير "أرسطو"(Aristote): فإنّ"الفلسفة هي البحث عن الوجود بما هو وجود بإطلاق أو هي البحث في طبائع الأشياء وحقائق الموجودات. وسماها الفلسفة الأولى تمييزا لها عن الفلسفة الثانية أي: العلم الطبيعي، وأطلق عليها كذلك الحكمة لأنها تبحث في العلل الأولى إطلاقا، كما سماها بالعلم الإلهي، لأن أهم مباحثها الله الموجود الأول، والعلة الأولى للوجود".[5]

وأمّا "ديكارت"(Descartes):فقد عرف الفلسفة قائلا: هي العلم العام لجميع العلوم وهي معرفة العناصر الأساسية في كل علم و هي معرفة الكائن الجدير بالكينونة*.

و"سقراط"(Socrate):عرفها أنها البحث العقلي عن حقائق الأشياء المؤدي إلى الخير وهي تبحث عن الكائنات الطبيعية وجمال نظامها ومبادئها وعلّتها الأولى.

وقال عنها "أفلاطون"(Platon): إنها البحث عن حقائق الموجودات ونظامها الجميل لمعرفة المبدع الأول ولها شرف الرئاسة على جميع العلوم.[6]

---

[4]– محمد محمود ربيع، مناهج البحث في العلوم السياسية، المكتبة الشاملة، مكتبة الفلاح الكويت، ط 2، ص 35.

[5]– م.ن، ص.ن.

*– الكينونة: تعني الحياة والوجود، والتفكير والتكلم والعمل والشعور. ومصطلح الكينونة واسع المعنى ومثير للجدل في تاريخ الفلسفة.ينظر:معنى كلمة كينونة في معجم المعاني الجامع والمعجم الوسيط–معجم عربي 2015، ص 1 على موقع واي باك مشين.

[6] –عبد الحميد الصالح، مبادئ الفلسفة، د ط ، د ت، ص 8–9.

ولقد كان للفلاسفة المسلمين نصيب في تعريف الفلسفة وتوسيع دائرتها إلى أبعد حدٍ، فالفلسفة لم تكن أبدا حكرا على الحضارة الغربية وفلاسفتها، فالحضارة الإسلامية هي التي بسطت للحضارة الغربية معنى التفلسف، ومن أهم الشّخصيات الفلسفية العربية التي عرفت الفلسفة نذكر:

"الكندي" الذي قال عن الفلسفة: إنها علم الأشياء بحقائقها وهذه الحقائق كلية ولها شرف على جميع العلوم الإنسانية ولكن الشرف الأعلى بين علوم الفلسفة للفلسفة الأولى. وعرفها "ابن رشد" بأنها النظر في الموجودات من جهة دلالتها على الصانع.

و"ابن سينا" الحكمة استكمال النفس الإنسانية بتصور الأمور والتصديق بالحقائق النظرية والعلمية على قدر الطاقة الإنسانية. وأما مفهوم الفلسفة عند "الفارابي"هي العلم بالموجودات بما هي موجودة.[7]

تعددت مفاهيم الفلسفة إذن إمّا عند فلاسفة الغرب أو العرب، فحين نشرع في وضع تعريف الفلسفة، سرعان ما تعترضنا الصعوبات، ذلك لأنّ الفلسفة هي عملية أو نشاط أكثر من كونها موضوعا أو بناءً للمعرفة، ونفهم من مجموع ما سبق أنه لا يمكن صياغة مفهوم واحد للفلسفة، فهو يختلف باختلاف المذاهب والعصور.

ثانيا: النّشأة والتطور:

يستدعي الحديث عن نشأة الفلسفة وميلادها أن نجيب عن بعض الأسئلة، أين ظهرت الفلسفة؟ ومتى ظهرت؟

كان أوّل ظهور للفلسفة في الفترة ما بين القرنين السابع والسادس قبل الميلاد، ويعد أوّل ظهور لها في اليونان، والدليل هو إجماع المؤرخين على أنّ الفلسفة نشأت ضمن العقلانية اليونانية والتراث اليوناني هو الوحيد الذي وصل إلينا وبالأخص تراث

[7]– عبد الحميد الصالح، مبادئ الفلسفة، د ط، د ت، ص 8-9.

"أفلاطون"(Platon) و"أرسطو"(Aristote)، في حين أنّ تراث الحضارات الشرقية القديمة، لم يبق منه إلاّ القليل الذي اندثر مع الوقت.

انقسمت الفلسفة اليونانية على نحو طبيعي إلى ثلاث فترات، يمكن وصف الفترة الأولى بشكل غير دقيق، على أنّها فترة الفلسفة السابقة على "سقراط"(Socrate) وإن كانت لا تشمل السوفسطائيين(Sophistes)، وهم معلمين أذكياء يدربون تلامذتهم على إتقان فنّ إلقاء الخطاب.[8]وساهمت الحركة السوفسطائية في نقل الاهتمام بالإنسان بعدما كانت الطبيعة هي المحور الأساسي، ليصبح الإنسان مركز هذا التفكير، وكان لهم أثر كبير على مختلف الفلاسفة بداية من سقراط(Socrate) وأفلاطون(Platon) وأرسطو(Aristote)حتى وإن كانت فلسفات هؤلاء قامت في الكثير من جوانبها على الردّ أو نقد الفلسفة السوفسطائية.[9]

صحيح أنّ أغلب الباحثين والمؤرخين يتفقون على أن تاريخ نشأة الفلسفة يعود إلى اليونان وأنّها بدأت مع الفيلسوف "طاليس"(Thales) في القرن السادس قبل الميلاد لأنّه أول من طرح سؤال أصل الوجود والأشياء، وأنّ اليونانيين قد توصلوا إلى الفصل في مسألة أصل الكون، وهذا ما ساعد الإنسان على التحرر من الخرافات التي سيطرت عليه، ونقل النظر إلى العالم من جانب وزاوية جديدة يحاول من خلالها تفسير الكون بالملاحظة والتجربة والتفكير والاستدلال. ومن الفلاسفة المؤيدين لهذا الرأي، نذكر عند العرب: "الفارابي"،"الشهرستاني"* و"ابن خلدون".وأما عند الغرب نذكر:"أرسطو"(Aristote)، و"تسيلر" (Eduard Zeller)

[8] – نايجل واربرتون، مختصر تاريخ الفلسفة، تر: محمد مفضل، ط1، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، العراق– بغداد، ص 23.

[9]– ينظر: رزوقي كمال، نزعة التنوير عند السوفطائيين، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، م 11، ع 03، 2020، ص 130.

*– الشهرستاني: ولد عام 1942م بكربلاء، أحد علماء أهل السنة والجماعة والأشاعرة ومن فلاسفة الإسلام.ينظر: watt 1991 p 68 2019 على موقع واي باك مشين.

وهناك من المؤرخين من قال برأي آخر مخالف لما سبق، وهو أنّ نشأة الفلسفة يعود أصلها إلى الشرق القديم مثل حضارات مصر والعراق والهند والصين، فلا يمكن الجزم بأن اليونان هم أرباب للتفكير الفلسفي، فحتّى تراث الشرق القديم المتمثل في الفنون والعلوم الطبيعية ساعدهم في البحث النّظري النزيه المجرد في حقيقة الموجودات.

ومن بين الفلاسفة الذين تبنوا هذا الرأي نذكر من الفلاسفة المسلمين: "الغزالي" و"القفطي". ومن الغربيين:"جورج سارتون"(George Sarton) و"بول ماسون أورسيل"(Paul Masson Oursler).

ثالثا: ميادين البحث الفلسفي:

ظلت الفلسفة علم العلوم حتى بداية عصر النّهضة الأوربية الحديثة، فكانت تتناول كل الموضوعات الإنسانية، فـ"تاريخ الفلسفة نفسه يشهد بأنّ مذاهب الفلاسفة متصلة بالواقع، وأنّها يمكن أن تتحول إلى قوى تاريخية فعّالة. فأفلاطون(Platon) كتب "الجمهورية" على أمل إصلاح المجتمع الإغريقي، و"العقد الاجتماعي"لجان جاك روسو Jean-Jacques (Rousseau) في رأي الكثيرين هو الذي صنع الثورة الفرنسية، وديكارت(Descartes) كتب بالفرنسية -التي كانت في عصره لغة شعبية- كي يفهمه الناس، وباختصار يمكننا القول إن كبار الفلاسفة أرادوا دائما أن يقولوا شيئا عن الواقع ".[10] وكانت كل العلوم تستخدم المنهج الفلسفي، لكن بتقدم العقل البشري وتطوره انفصلت العلوم عن الفلسفة وبقيت معها ثلاث مباحث رئيسية تتناسب مع طبيعة الفلسفة العقلية المجردة وهي:

"مبحث الوجود (الأنطولوجيا)(Ontologie): العالم والكون، ويدرس الطبيعة دراسة شاملة، ويحاول الكشف عن القوانين التي تفسّره، ويطلق عليه اسم الميتافيزيقيا(Métaphysique) أو علم ما وراء الطبيعة.

[10] -حسين علي، ماهي الفلسفة؟، دار النشر التنوير والطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2011، ص22.

مبحث المعرفة (الإبستيمولوجيا)(Epistémologie): فيها تتجلى مختلف المعارف العلمية أو العلوم ومن بين موضوعاته أن يهتم بالموازنة بين الحواس والعقل و الحدس، كوسائل للمعرفة ومدى دقة كل منها.

مبحث القيم (الأكسيولوجيا)(Axiologie): يهتم بالأخلاق والمنطق والجمال فيدرس المثل العليا والقيم المطلقة التي يسعى الجميع إلى تحقيقها.

ومن المباحث الفرعية التي تدرسها الفلسفة نذكر: فلسفة الدين، فلسفة القانون، وفلسفة التاريخ. وللفلسفة فروع أخرى، من أهمها المنطق ومناهج البحث، وهي تبحث في الشروط العامّة للتّفكير الصحيح، وفي الطرق المؤدية إلى اكتساب المعرفة العلمية الصحيحة، ثم فلسفة الدين وفلسفة القانون وفلسفة التاريخ والفلسفة السياسية"[11]

رابعا: أهداف الفلسفة وأهميتها:

إنّ الفلسفة أو فعل التفلسف نمط فريد متميز من نوعه من التفكير، له مفهومه الدقيق، وله موضوعه المتشعب من حيث الوجود والمعرفة والقيم، وله منهجه الذي ينطلق من "الصورنة"(Formalisation) [*] والمشكلة والبرهنة، فبهذا يصبح التفلسف ضروريا من أجل فحص شؤون الحياة، فهي ترتقي بالمستوى العقلي وتغذي تفكير الفرد لأنها تستعين بالأدلة المنطقية، وتقوم أيضا بتأكيد الإيمان بالله وتدعيمه وتجعله أكثر عمقا، وتقنعه بالأسس العقلية والمنطقية.

وتساعدنا، فضلا عما سبق، في إدراك أهدافنا في الحياة وتدفعنا إلى تطويرها، وتمكن من معرفة سبل الحق واكتشافها، والالتزام بها وتمثل الدفاع عن القيم العليا كالحرية والحق والعدل.

---

[11] – حسين علي، ماهي الفلسفة؟، ص 116/115.

[*] – الصورنة: في المعنى الحديث هي تقديم النظريات العلمية في سياق نسق صوري يمكن من تخصيص التعابير اللغوية، وقواعد البرهان المقبولة دون غموض. ينظر: مجلة الحوار الثقافي، تصدر من مخبر حوار الحضارات، التنوع الثقافي وفلسفة السلم بجامعة مستغانم، الجزائر، م10، ع2، 2021.

كما تقوم الفلسفة بالكشف عن مشكلات المجتمعات، وتساعد في حلّها، كونها تعمق وعي الفرد وتزيد قدرته على معرفة المشكلات، ثمّ كيفية التعامل معها والتعاون على حلّها، ولنا أحسن مثال حول كشف مشكلات المجتمع وهو سقراط(Socrate) الذي تصدى للسوفسطائيين، وأعاد الثقة في نفوس شباب"أثينا"(Athènes).

وشبيه بما قام به سقراط قديما، ساهم جون ستيوارت ميل(John Stuart Mill)في تطوير إنكلترا سياسيا واقتصاديا بدعوته إلى الحرية والمنفعة العامة.

نستنتج مما سبق أنّ الفلسفة ضرورية في حياة الإنسان إمّا على المستوى الفردي أو الاجتماعي ولا يمكن أن نجعل عقولنا تكف عن التفلسف لأنّها ظاهرة فطرية طبيعية في الإنسان.

وتسعى الفلسفة إلى الارتقاء بالتفكير الإنساني، وتساعدنا في الوصول إلى أصل الأشياء والمعرفة والقيم المختلفة في حياة البشر وأنماط تفكيرهم حتّى باختلاف الأجناس. وقد لخص أرسطو(Aristote) كل هذا حين قال:" الحياة المفتقرة للقدرة على التفكير حياة لا قيمة لها".[12]

[12] – عبد الغفار مكاوي، دعوة للفلسفة، كتاب مفقود لأرسطو، دار النشر مؤسسة هنداوي،1987، ص 97.

المبحث الثاني: الفلسفة والرواية: بحث في العلاقات

تحظى الرواية من بين الأجناس الأدبية باهتمام كبير بين الأدباء والمبدعين، وأخذت مكانة أدبية مهمة من بين الفنون الأخرى، ولعل مردّ هذا الاهتمام أن بفضلها يتمكن الكتّاب أن يعبروا عن آمالهم وآلامهم، وتعتبر تعبيرا حيا عن الواقع وعن الهويّة.

أولا: مفهوم الرواية:

أ. المفهوم اللغوي للرواية:

نحدد مفهوم الرواية لغة بالاعتماد على ما أوردته المعاجم اللّغوية، فقد ورد في معجم "لسان العرب" أنّها مشتقة من الفعل (ر.و.ي) يقال:"رويت القوم أوريتهم، إذا أسقيت لهم، ويقال من أين ريّتُكم؟ أي من أين ترتوون الماء[...] ويقال: روّى فلان فلانا شعرا إذا رواه له حتى حفظه للرواية عنه.[13]

وعرّفها "الخليل بن أحمد الفراهيدي" في كتابه "العين": "الرواية رواية الشعر والحديث، ورجل كثير الرواية، والجمع رواة".[14]

ولقد عرّفها "الجوهري" بقوله:" رويت الحديث والشعر رواية، فأنا راو في الماء والشعر منقوم رواة، ورويته الشعر تروية أي حملته على روايته أو روايته أيضا، وتقول : أنشد القصيدة يا هذا ولا تقل أروها إلا أن تأمره بروايتها أي باستظهارها".[15]

نستنتج من التعريفات السابقة بأنّ كلمة رواية تحمل معنى القول، ونقل الأخبار، والإرواء بسقي الماء، وتدل على التفكير في الأمر، وأطلقت على رواية الشعر والحديث.

---

[13]– ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ج14، ط1، 2003، ص425.

[14]– الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح:عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان،ج2، ط1، 2003، ص165.

[15]– إسماعيل بن احمد الجوهري، تاج اللغة العربي الحديث، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ،ط2، 1989،ج6،ص10.

ب.المفهوم الاصطلاحي:

من الصعب وضع تعريف واحد موحد أو مفهوم واحد للرواية كنوع أدبي، لكونها فن نثري غير واضح الدلالة، فكل باحث أعطى لها تعريفا حسب وجهة نظره الخاصة، لأنها متعددة الأساليب، ومختلفة باختلاف العصور ومتطورة بتطورها.

وتعد الرواية شكلا من أشكال الفنون الأدبية التي تعبر عن الإحساس بالشخصية القوية، كما أنها "الجنس الأدبي الأقدر على التحرر من معايير التصنيف لأنه جنس لا حدود له ".[16]

ومنه فإنّ الرواية أوضح وأسهل وسيلة للتعبير عن الحياة، إمّا شفهيا أو كتابيا، وهذا ما أكده آخرون حين قالوا مثلا بأنّ "الرواية ديوان الحياة فهي تستطيع أن تحمل عبر صفحاتها وفصولها كل خصائص الحياة وسماتها "[17]، ويرى"ميخائيل باختين" (Mikhail Bakhtin) "أن تعريف الرواية لم يجد جوابا بعد بسبب تطورها الدائم".[18]

وتقول "عزيزة مردين" عن الرواية: "هي أوسع من القصة في أحداثها وشخصياتها، وتتعدد مضامينها، كما في القصة، فيكون منها الروايات التاريخية والفلسفية".[19]

يمكن أن نقول مستنتجين بخصوص مفهوم الرواية أنها الواجهة التي تعبر عن كل مظاهر الواقع المختلفة، فهي ضرب من الخيال النّثري لإبداع الكاتب، وهي أكثر الفنون الأدبية ارتباطا بالواقع وأشدها التصاقا بموضوعاته والأكثر مشابهة له.

---

[16]–رياض حجاج، جمالية الارتحال عبر الأجناس الأدبية في رواية الرحلة الهنتاتية لعبد القادر الطيفي، م 07، ع 01، جامعة قابس، 2023، ص 104.

[17]– أحمد فضل شبلول، الحياة في الرواية قراءة في الرواية العربية والمترجمة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، د ت، ص 5.

[18]– ميخائيل باختين ، الملحمة والرواية، ترجمة وتقديم: جمال شحيذ، كتاب الفكر العربي 3، بيروت 1982، ص 66.

[19]– عزيزة مردين، القصة والرواية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1971، ص 20.

ثانيا: العلاقة بين الفلسفة والأدب:

مارس الإنسان منذ القدم التفلسف وهذا من أجل فهم أبعاد وجوده من كلّ النواحي، سواء الأخلاقية أو المعرفية أو الاجتماعية، وارتبطت الفلسفة منذ القدم بمداها النسقي؛ أي أنّها لم تترك مجالا إلاّ وأخضعته لنمط سؤالها العام، فهناك فلاسفة تناولوا دراسة كل المجالات كالرياضيات والأخلاق والاجتماع والسياسة والفن والأدب، وبهذا كله ضمنوا كلّ شيء في النسق الفلسفي.

وإذا انتقلنا إلى دراسة العلاقة بين الفلسفة والأدب، فنجد أنّهما في حالة صراع واختلاف كبير بين المجالين من حيث اللغة والهدف ومجال الرؤى، لكن رغم هذا نجد الفيلسوف والأديب يلتقيان في غالب الأحيان.إلا أن هناك ما يجمع بينهما وهو البحث عن الوجود وماهيته والبحث في الذات الإنسانية. "وجب الإشارة إلى أنّ أفلاطون (Platon) ورغم رفضه للفن والشعر، وانتقاده لهما، إلاّ أننا نجده يستخدم نصوص الشعر اليوناني في محاوراته، فمثلا في محاورة المأدبة(La banquet)* يستخدم مقاطع شعرية من أشعار أريستوفان(Aristophane)**".[20]

وإشكالية العلاقة بين الفلسفة والأدب قديمة قدم بدايات التفكير الإنساني، والفلسفة باعتبارها بحثا عن الحقيقة تتوسل باللغة، والأدب كذلك يُبني باللغة، فاللغة تعد إذن قاسما مشتركا بينهما وهي علاقة معرفية، وقيل: "إنّ هذا الخلاف بينهما قديم جدا، أقدم من أفلاطون وهوميروس***[...] والحق يقال: إنّ في فلسفة أفلاطون وهوميروس فلسفة سامية. وإنك لتجد الفلسفة

*- المأدبة: تعتبر محاورة المأدبة كتابا افتتاحيا في موضوع الحب عند أفلاطون فصور الحب أنه جنون وهوس إلهي. ينظر: مؤسسة هنداوي، محمد لطفي جمعة.

**- أريستوفان: مؤلف مسرحي كوميدي يعتبر من رواد المسرح الساخر في اليونان القديمة. ينظر: الموسوعة العربية، م1، ص 986.

[20]- فضيلة سنوسي، التضايف بين الفلسفة والأدب من فلسفة الأدب إلى أدب الفلسفة، مجلة رفوف، م11، ع 01، جامعة أدرار الجزائر، 2023، ص 401.

***- هوميروس: أكبر شاعر ملحمي إغريقي وصاحب الملحمتين الإغريقيتين "الإلياذة" و"الأوديسة". ينظر: هوميروس، ويكيبيديا.

بعيدة الغور والمرمى في شعر "غوته"(Goethe) الألماني وفي شعر "وردزورث" (Wordsworth)الإنكليزي، ناهيك بـ "شكسبر"(Shakespeare)وما أحاط به في شعره ورواياته من طبقات النفس والفكر، ومن آفاق الخيال والتصور، ومن جوامع الأدب والفلسفة .وما قولك أيها القارئ الأديب "بأبي العلاء"، شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء؟ وما قولك "بالفارض"، شاعر التصوف والفلسفة الإلهية؟ "[21]. ثم إنّ الأجناس الأدبية هي التي تجسد الرؤى الفلسفية، والأدب يمنح الفلسفة بعدا جماليا أما الفلسفة توفر قسطا من المضامين والرؤى الفلسفية، بشرط ألاّ يفسد البعد الفلسفي البعد الجمالي، ويتطلب أن يندمج فيه بشكل أدبي، وخاصة أنّ منطقة لقاء بين الفلسفة والأدب هي الجمال.

ونرى العديد من الأدباء قد اعتمدوا في بث أفكارهم الفلسفية من خلال الأشكال الأدبية كلّها، رواية كانت أو قصيدة، مسرحية، وفي هذا الصدد نذكر قول الشاعر الناقد الفيلسوف " خليل حاوي*": "لا أغالي إذا قررت أنّ الرؤية الشعرية هي نوع من المعرفة التي تتخطى نطاق العلم المحدود بالظاهر الممسوس وتنافس الفلسفة، وتتغلب عليها في مجال الكشف والخلق...".

فالأديب الأصيل هو فيلسوف يسعى إلى بث أفكاره من خلال أدبه، وجوهر الأدب هو الفلسفة من الدرجة الأولى.[22]

وواضح مما تقدم أن العلاقة بين الأدب والفلسفة علاقة تكامل وظاهرة ملموسة في سياق ما هو منجز في الواقع الفلسفي، فهما وجهان لعملة واحدة، فالأدب الفلسفي هو ذلك الأدب المتشبع بهموم الفلسفة وتساؤلاتها، ورغم ذلك يبقى أدبا جميلا مؤثرا متميّزا، ونعلم أنّ الأديب والفيلسوف لهما صفات مشتركة، " إنّ الصفة الأساسية التي يمتاز بها الشاعر هي، في جوهرها الصفة الأساسية التي يمتاز بها الفيلسوف. إنّ الدهشة التي تبعث الفلسفة، هي ذاتها التي تبعث الفن والأدب والشعر".[23]

---

[21]– أمين الريحاني، أنتم الشعراء، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013، ص 21-22.

*–خليل حاوي: شاعر لبناني ولد سنة 1919م اشتهرت أشعاره باستخدام الرموز. ينظر: فريق الشرق، خليل حاوي و"الديوان الأخير" شاعر كتب آخر قصائده ببندقيته، 2022.

[22]– ينظر: شعبان كحول، السّعيد مومني، (تمازج الفكريّ والجماليّ بين الفلسفة والأدب)، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، م 25، ع 02، 2021، ص 438.

[23]– محمد شفيق شيا، في الأدب الفلسفي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، ط 1، 2009، ص 109.

ودائما حول هذا الموضوع علاقة الأدب بالفلسفة نقول أنّ دائما بينهما ترابط في الكثير من المعارف، "إن اللوحات التي يقدمها الأدب، تتحول إلى مصدر رئيسي لتأسيس تفسير فلسفي أو نظرية فلسفية [...] بل ويمكن الدخول إلى عالم فلسفة ما، من خلال أدبها إذا ما توفر ذلك"[24].

ويعد بحثنا هذا من تلك البحوث التي تسعى إلى مقاربة هذا النوع من الكتابات ودراسته من خلال رواية"لبيك:حج الفقراء" لمالك بن نبي، ونعتقد أنّ هذه الرواية، وهذا ما سيسعى البحث لإظهاره في فصله الثاني، تنتمي في عمومها إلى ذلك الأدب الذي ينظر في القضايا الفلسفية ويحللها، فالرواية من هذه الزاوية تحمل وهجا أدبيا وعمقا فلسفيا، من خلال إنزال القضايا الفلسفية من سماء التجريد والعمومية إلى أرض المحسوس والواقع. ففي الأدب الفلسفي لا تمارس الفلسفة بل يمارس الفعل الفلسفي، حيث إنّ كل مشروع فلسفي ملزم أن يأخذ الأدب بعين الاعتبار خصوصا في الرواية.

والأدب، تبعا لما سبق، هو أحد الأشكال التعبيرية عن الأفكار الفلسفية، فإن نحن عدنا إلى تاريخ الكتابة الفلسفية، لوجدنا أنّ الفكر الفلسفي قد لجأ إلى أكثر من شكل أدبي أكان شعرا أم نثرا، وتتراوح هذه الأشكال بين القصة والمسرحية والرواية.

ثالثا: بين الرواية والفلسفة:

تعد الرواية عملا فنيا متميزا يتطلب التماسك والمحافظة على وحدته الفنيّة، وتعتبر كأسلوب فكري ناجح لإيصال الأفكار إلى الناس، ولعل أنجح الروايات هي التي توصل فكر الروائي عبر روايته واضحا من دون أن يمسّ بالشروط الفنية للرواية.وإن حصل أن حدث العكس، فإن ذلك سيبطل أن تكون رواية أو أدبا فلسفيا.

[24]- محمد شفيق شيا، في الأدب الفلسفي، ص 111.

والأدب الفلسفي ظهر عند الغرب وعند العرب من خلال أعمال الأدباء والفلاسفة، "ويعتبر الأدب الفلسفي سمة لنوع من الأدب و ليس جنسا أدبيا جديدا".[25]

ولا شك أن الرواية التي تجمع بين الفنية الجمالية والخصائص الفلسفية تستحق أن تكون أدبا فلسفيا، فـ" المطلع على علاقة الرواية بالفلسفة، يدرك أنّ هذه العلاقة تندرج ضمن علاقة الأدب بالفلسفة، حيث يرى أنصار الفلسفة أنّ الرواية وليدة الفلسفة، كونها أُمّاً للعلوم والأساس الذي تنتج فيه الأفكار"، ومن هذا نفهم أنّ الرواية تندرج ضمن الفلسفة، وهي بالتالي تقوم بشرح هذه الأخيرة بتفسير ما يبدعه الفن الأدبي.

ولعل من أبرز الوظائف التي تكفلت الرواية الفلسفية بأدائها أنها تمكنت من أن تنزل أفكار الفلاسفة وهواجسهم المعرفية من النخبة إلى العامة، وساهمت بشكل كبير في إعادة بعث فعل التفلسف من جديد وجعل تحقيقه ممكنا على الصعيد الاجتماعي، خصوصا بعد الأزمات التي مرت بها الفلسفة.[26]

فإذا كانت هناك عقول فلسفية داخل المجتمعات تدرس مشكلاتها ومصائرها، وتنظر في علل الأشياء وأسبابها للوصل أخيرا إلى الحلول المناسبة، كان لابد من اللجوء إلى وسيط بين فلسفة المفكرين وعامة الناس، ولعلّ الرواية الفلسفية هي أحسن وأفضل الوسائط، فهي تخلص القارئ من منتج النص وقيوده وتفتح له حرية التفسير والتأويل عكس الأنماط الأدبية الأخرى. ولا شك أن هذا الأمر يفتح للإنسان المجال للبحث والإبداع، وعند تفاعل هذه المعارف تتولد معارف جديدة، وهكذا تتطور الحضارات وتزدهر وترتقي.

[25]– جلال مصطفاوي، قراءة في الأدب الفلسفي (ميخائيل نعيمة أنموذجا)، مجلة التدوين، م 12، ع 02، تصدر عن مخبر الأنساق، البنيات، النماذج والممارسات: الفلسفة، العلوم الاجتماعية والترجمة، جامعة وهران2، 2020، ص 271.

[26]– ينظر: أحمد مرين، بشير خليفي، الرواية الفلسفية من لغة الفكر إلى واقع المجتمع، مجلة الحوار الثقافي، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، م 11، ع 01، 2022. ص 41.

رابعا: دواعي توظيف الفلسفة في الرواية:

تعد الرواية الفلسفية وليدة تفاعل بين الأدب والفلسفة، واللغة الروائية المستخدمة فيها ليست إلاّ نتيجة لتكوين الروائيين المزدوج تكوينا فلسفيا من جهة، وتكوينا أدبيا من جهة ثانية. وأما من الجانب الفكري، فإن الرواية ظلّت الرواية تحاكي الواقع المعيش ومعالجة قضاياه، ومن أجل هذا الأمر لجأ المفكرون والأدباء لاستثمار ما فيها من طاقات تعبيرية لبسط تصوّراتهم وتمثلاتهم الفكرية وإيصالها للقراء في أبسط أشكالها. " لذا فإن فلسفة الرواية ورواية الفلسفة وجهان لطريقة فريدة في التفكير والكلام والتصرف. هذا ما يجعل مبحث الفلسفة والأدب عموما، والفلسفة والرواية خصوصا من المباحث التي أخذت نصيبا متزايدا من الاهتمام الفكري. سواء من طرف الفلاسفة النقاد أو من طرف النقاد الأدباء.[27]

وتتأسس كل من الفلسفة والرواية على حمل الفكرة واستخدام اللغة ومعالجة القضايا الإنسانية عبر كل مراحلها من خلال تقديم التفسيرات، وكل منهما تتأثر تأثرا مباشرا بأوضاع المجتمعات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

وتعد الرواية جنس أدبي مرن يمكن أن تحمل عدة أجناس أدبية أخرى، وهذا ما أكسبها صفة الواقعية أكثر من غيرها، فلغتها البسيطة والعامية تكسبها ميزة فنية، وعلى العكس من هذا إذا انتقلنا إلى الشعر، حيث إن الخصائص اللغوية السابقة قد كون عيبا ومنقصة له، لأن لغته مقيدة عكس الرواية المتسمة بقالب رحب ومرن.

والرواية، زيادة على ما سبق، توضح المعنى وتبسطه للمتلقي، فهي تخدم الفكر الفلسفي ين تسعى لتقريب الحقيقة وإظهارها، حيث أن الرواية تتمتع بالقدرة على الانتشار بين المجتمعات كعمل أدبي يلبي متطلباتهم، استنادا لاختلاف موضوعاتها وأساليبها، وبلغتها السردية والإخبارية والتفسيرية القدرة على مساندة النسق الفلسفي في التبسيط والتحليل والاستنتاج في إطار جذاب.

[27]– عبد الكريم عنيات، إيمان قرفي، الرواية الفلسفية عند إرفين يالوم، مجلة التدوين، م 12، ع 02، 2020، ص 55.

وكما شرحت " جان آيريس مردوك" (Jean Iris Murdoch) الروائية الفيلسوفة، وهي من أشهر المنظرين في هذا الإطار في حوار مع الفيلسوف " بريان ماغي" (Bryan Magee)، أنّ "الأدب يمكن أن يقرأ من قبل الكثيرين ذوي مشارب ومنازع شتى، أمّا الفلسفة فلا تقرأ إلاّ من قبل نخبة قليلة إذا ما قرنت بقرّاء الأدب"[28]

وباحتواء الرواية للأبعاد الفلسفية يصبح من الممكن وصول الفلسفة إلى شريحة أكبر من الناس وهذا بفضل الرواية، وبها نستطيع أن نستوعب الموضوعات التي تطرحها الفلسفة أحسن بكثير من قراءتها في كتب الفلسفة، والرواية العظيمة هي تلك التي تحمل الكثير من الفلسفة بداخلها، والفلسفة العظيمة تكتب بشكل أدبي فاخر، كروايات "نجيب محفوظ"، "أمين معلوف"،"ديستويفسكي"(Dostoïevski).[29]

وكما نعلم أنّ الفلسفة تبحث عن الحقيقة والعقل ولمعرفة والوجود واللغة، أمّا الرواية تستخدم اللغة والخيال لتؤثر على أحاسيسنا وتجعلنا ننسجم مع الشخصيات التي تكتبها. وبهذا تتحوّل الرواية إلى وسيلة ممتعة لفهم الفلسفة، ويصبح النص الروائي أسلوبا لشرح وتوضيح وتبسيط أفكار الفلسفة التي تبدو صعبة الفهم عند بعض القرّاء، وهي طريقة لمناقشة وتوضيح القضايا الفلسفية بشكل أكثر تفصيلا ووضوحا.

[28]– أيريس مردوخ، نزهة فلسفية في غابة الأدب، تر لطيفة الدليمي، دار المدى، ص 21.

[29]– ينظر: هناء حجازي، الفلسفة والرواية، جريدة الرياض، جريدة يومية تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية، 23-09-2021. http://www.alriyadh. com

المبحث الثالث: مالك بن نبي سيرة وفكر:

يعد المفكر الجزائري " مالك بن نبي " أحد روّاد النهضة الفكرية الإسلامية في القرن العشرين، ويمكن اعتباره امتدادًا "لابن خلدون"، ويعد من أكثر المفكرين الذين نبّهوا إلى ضرورة العناية بمشكلات الحضارة،[30] وفي بناء الفكر الإسلامي الحديث، وأسس لمفاهيم ومصطلحات فكرية وفلسفية غير مسبوقة، ولقب بـ " فيلسوف العصر" .

أولا: مولده وحياته:

هو مالك المدعو (صديق) بن الحاج عمر، بن الخضير، بن مصطفى بن نبي، ولد يوم 1 جانفي 1905م في مدينة قسنطينة بالجزائر، وسط أسرة متواضعة متدينة، وكان أبوه عمر موظفا بإدارة مدينة تبسة، وكانت أمه زهيرة بن عيسى تعمل في الخياطة.[31]

إنّ البحث عن " مالك بن نبي " والتفصيل في حياته قد تكون مهمة صعبة، لأنّها تعتمد على مصادر محدودة العدد، وأهم مصدر يساعدنا في تفصيل الحديث عنه هو سيرته الذاتية الموسومة "مذكرات شاهد القرن "، رغم أنه استخدم قناعا وهو عبارة عن شخصية تمكنّ عبرها من " أن يخاطب القارئ من وراء حجاب"[32]، وعاش مالك بن نبي مرحلته العمرية الأولى في فقر بسبب وضع عائلته السيئ، ويتضح هذا حين قال:" كنت في السادسة أو السابعة من عمري، وكان وضع عائلتي قد ساء ماديا فجدي باع كل ما تبقى بحوزته من أملاك العائلة، وقد هجر الجزائر المستعمرة ليلجأ إلى طرابلس الغرب".[33]

---

[30]– سعاد طيباوي، قراءة مالك بن نبي للأخر الغربي في ظل التخلف الحضاري، مجلة الاستيعاب، م 03، ع 03، 2020، ص 1.

[31]– محمد الهادي الحسني، مالك بن نبي المولد والنشأة، موقع BINNABINET.WWW، DETAIL. RABRIQUE ، تاريخ التصفح 2016/02/16.

[32]– مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، دار الفكر، بيروت، 1969، ص 7.

[33]– م.ن، ص 16.

وعاش فترة من الزمن مع عمه في قسنطينة، لكن بعد وفاته عاد إلى تبسة لأنّ الوضع الذي كان فيه عمه لا يسمح بإعالته، وهذا ما ذكره في كتابه – مذكرات شاهد القرن– الجزء الأول –الطفل– وعند عودته إلى تبسة تعرّف على جدته وأصبح يسمع الكثير من أقاصيصها وحكاياتها، وقد أثرت هذه الحكايات عليه وكونته تكوينا جيّدا، ورغم الفقر المدقع الذي أصاب عائلته بسبب تعطيل عمل أبيه، إلا أنهم كانوا يقتاتون من تدابير أمه التي تسهر الليالي في الخياطة.

التحق بن نبي بـ"الكتّاب"* لتعلم القرآن ومبادئ الحساب واللغة العربية، لمدة أربع سنوات بالتوازي مع دراسته في المدرسة الفرنسية، إلى أن أتمّ تعليمه الابتدائي والإعدادي. ولقد مكنه تفوقه من الحصول على منحة لمواصلة الدراسة في مدينة قسنطينة التي كانت مَعلمًا للثقافة العربية والإسلامية قبل الاحتلال، وهناك بدأ يتعرف على الثقافة الفرنسية.

تخرج من الثانوية سنة 1925م، وبعدها كان همه الوحيد في ذلك الظرف هو الحصول على العمل، فسافر إلى فرنسا لعله يجد عملا، وحينما لم يجد عاد إلى الجزائر، ثم أعاد السفر إلى فرنسا سنة 1930م، ليس للعمل، وإنّما لإتمام دراسته العليا في معهد اللغات الشرقية، ليصبح محاميا فيما بعد، لكن رغبته لم تتحقق ودرس في معهد التقنيات الكهربائية حيث حاز على شهادة مهندس سنة 1935م.

انغمس مالك بن نبي في الدراسة والحياة الفكرية، واختار الإقامة في فرنسا وتزوج فرنسية، وهناك شرع في تأليف الكتب التي تخص قضايا العالم الإسلامي، بعد ذلك انتقل سنة 1954م إلى القاهرة وحده تاركا زوجته في فرنسا حتى سنة 1971م، وعيّن هناك مستشارا في منظمة التعاون الإسلامي، وحينها طوّر لغته العربية وشرع في الكتابة بالعربية، وفي سنة 1963م عاد

*– الكتّاب: مكان لتحفيظ الصبيان القرآن الكريم، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مجلد 1، ط1، بيروت، ص 199.ينظر: كتاب مدرسة، ويكيبيديا.

إلى الجزائر وعيّن مديرا للتعليم العالي، وفي سنة 1968م استقال من منصبه وتفرغ بالكامل للعمل الفكري الإسلامي والتّوجيهي[1].

ومن بين أهم أعماله الفكرية من الناحية الاجتماعية[2]:

- الظاهرة القرآنية: عدد صفحاته 328 صفحة تناول فيه مالك بن نبي أهميّة الظاهرة الدينية، وفرق بين المذهب المادي والغيبي، وقارن بين القرآن والكتاب المقدس.
- تأملات: عدد صفحاته 240 صفحة، وهو حصيلة تأملات مالك بن نبي للمجتمع العربي وما يحيط به خلال الخمسينات وبداية الستينات.
- ميلاد مجتمع: عدد صفحاته 111 صفحة، تناول فيه بن نبي بالتحليل والدراسة العوالم الثلاثة، التي يتكوّن منها كل مجتمع وهي: عالم الأفكار، الأشياء، والأشخاص. التي تشكل فيما بينها شبكة العلاقات الاجتماعية.
- مذكرات شاهد القرن: عدد صفحاته 456 صفحة، يجمع مرحلتين من حياة المفكر: قسم الطفل وقسم الطالب.

وأمّا بالنسبة للكتب التي تناولت الصراع الفكري والثقافي، فهي:

- مشكلة الثقافة: عدد صفحاته 129 صفحة، يوضح فيه المفكر مالك بن نبي تنظيم المجتمع وحركاته وحتّى خموده وركوده، وكل هذا له علاقة بنظام الأفكار المنتشرة في ذلك المجتمع.
- في مهب المعركة: عدد صفحاته 176 صفحة يتضمن أربعة فصول: الاستعمار تحت المجهر، في وحل السياسة، في الحقل الاجتماعي، في حديقة الثقافة وشرح لكتاب الفوضى الاستعمارية.

[1]- ياسين عطوي، المفكر مالك بن نبي حياته وأعماله، مذكرة ماستر، إشراف: عبد القادر خليقي، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، السنة الجامعية: 2015-2016، ص: 5-8. (60 ورقة).

[2]- قواسمي سمية، التربية والحضارة في فكر مالك بن نبي، مذكرة ماستر، إشراف: حمدي لكحل، جامعة محمد خيضر بسكرة، قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية، السنة الجامعية: 2019- 2020، ص: 16- 23. (153 ورقة).

وأمّا الكتب الخاصة بالعالم الإسلامي، فنذكر:

- بين الرشاد والتيه: عدد صفحاته 216 صفحة، ويعكس أحداث الستينات في الجزائر والعالم الإسلامي والعربي، ومشكلات العالم الثالث بعد الاستقلال السياسي.
- وجهة العالم الإسلامي: عدد صفحاته 200 صفحة، يحتوي على مراحل التاريخ، ويقسم تاريخ المجتمع الإسلامي إلى ثلاث مراحل، ويخص المرحلة الأخيرة بالعناية الخاصة وتتعلق بحديثه عن القابلية للاستعمار.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نشير إلى أن الرواية الوحيدة التي ألفها مالك بن نبي، وهي مجهولة عند الكثيرين، هي روايته الموسومة:"لبيك حج الفقراء". وهي رواية صغيرة الحجم، لكنها واسعة في المعنى، وعدد صفحاتها 156 صفحة، وقام فيها بدراسة جزء مهم من القيم والعادات الجزائرية التي لا تبتعد عن القيم الإسلامية. وفيها تداخلت قيم الخير والحق والجمال، وامتزجت بالروح النقدية وبالإبداع اللّغوي والأدبي، ولعل أهم ما يميز الرواية هو مزجها بين الفلسفة بالأدب.

ثانيا: المعالم الكبرى لفلسفة "مالك بن نبي":

حُددت ملامح الفكر الإسلامي الحديث وصُنعت تحت أيادي "مالك بن نبي" ومدرسته؛ مدرسة اهتمت بمشاكل الأمة الإسلامية، سواءً من حيث المواضيع التي تناولتها أو من حيث مناهجها، ويمكننا اعتبار مالك بن نبي مفكرا معرفيا ومن أهم رواد مدرسة "إسلامية المعرفة"، وكل تلك المعارف استلهمها من التراث الفلسفي، ومن أهم المؤثرين في فكره، ابن خلدون، وبعض أعمال الفلاسفة الغربيين.

وتعد الحضارة محوره الفلسفي الأهم، وكانت له علاقة وطيدة بالحضارة ومتمسكا بها، ويعد المفكر مالك بن نبي أحد المفكرين الذين اهتموا بفكرة الحضارة واشتغلوا عليها اشتغالا، وهذا ما تبيّن في كتاباته وظهر فيها بجلاء، حتى أضحت كلمة "الحضارة" عنوانا جامعا لكل مؤلّفاته، والتي عرفت بعنوان " مشكلات الحضارة "، فكانت هي الأصل والباقي فروع لها، وكما هو معروف أنّ الفرع لا ينفصل عن الأصل.

1 مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي:

تطرق المفكر مالك بن نبي لعدة قضايا، غير أنّه صبّ اهتمامه بالكامل على الحضارة. يقول الطاهر سعود في هذا الصدد:"عالج مالك بن نبي عبر كتاباته العديدة مواضيع متفرّقة، غير أنّ القضية المركزية التي شغلته وتمحورت حولها سائر إنتاجاته المعرفية هي مشكلات الحضارة والتي كانت عنوانا لها"[1]. والحضارة عند مالك بن نبي هي "كلّ شيء من أشكال تنظيم الحياة البشرية"[2]، فمهما كان مستوى أي مجتمع فهذا التعريف يشمله بشكل من الأشكال. فالحضارة هي من تعطي القدرة للشعوب على النموّ، فهي ترتبط بالفرد فكرا ومعاملة.

وتعبر كلمة الحضارة عن:"مجموعة من العلائق بين المجال الحيوي، حيث ينشأ ويتقوى هيكلها، وبين المجال الفكري حيث تولد وتنمو روحها"[3]، والحضارة هي:" مجموع منسجم من الأشياء والأفكار، بصلاتها ومنافعها وألقابها الخاصة وأماكنها المحددة، ومجموع كهذا لا يمكن أن يتصور على أنه مجرد تكديس، بل كبناء وهندسة، أي تحقيق فكرة مثل أعلى"[4].

والحضارة باعتبارها نتاج إنساني، هي من الشروط اللازمة لأي تجمع بشري يحلم بالحركة والتطور، بعيدا عن التجمعات البدائية التي سادها شارع الغاب والتي كانت تتنافى مع ما يحقق إنسانية الإنسان، ولهذا يقول مالك بن نبي:" إنني أؤمن بالحضارة على أنها حماية للإنسان لأنّها تضع حاجزا بينه وبين الهمجية "[5].

[1]– الطاهر سعود، التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص120.

[2]– مالك بن نبي، أفاق جزائرية، مكتبة النهضة الجزائرية، د.ط.ت، ص 30.

[3]– مالك بن نبي، شروط النهضة، دار الفكر، سوريا، ط 9، 2009، ص 50.

[4]– مالك بن نبي، فكرة الأفريقية، الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، دار الفكر، سوريا، ط 9، 2009، ص 84.

[5]– مالك بن نبي، النجدة، المطبعة العالمية، القاهرة، 1957م، الجزائر، ص5.

ينطلق هذا التعريف الذي يقدمه مالك بن نبي للحضارة من تذمره لما كان يحدث للمجتمعات عبر التاريخ، فالعرب الذين كانوا بدوا في الجزيرة العربية أو خارجها، استطاعوا بناء حضارة بفضل مجيء الإسلام الذي بعث فيهم روح التآلف والتآخي.

والحضارة، زيادة على ما سبق، شرط من الشروط اللازمة لأيِّ اجتماع بشري مستقر، وسقوط حضارة أي مجتمع، هو سقوط للوجود المميز لهذا المجتمع، وتذويب لشخصيته. كما أن أي مجتمع بلا حضارة متسمة بصفة التطور، سيكون مجتمعا تغلب عليه صفة البدائية.

يرى مالك بن نبي أنّ الحضارة نتاج ثلاثة عناصر ومعايير لا غير هي: إنسان، تراب، ووقت. وكي تتكون هذه العناصر وتتركب تحتاج إلى مركب آخر يجمعها سمّاه تارة الأخلاق، وسماه تارة أخرى الفكرة الدينية أو القيم الإسلامية. فقيام الحضارة يحتاج في آخر المطاف إلى توفر الشروط الثلاثة السابقة مع شرط الدين الذي يعد شاحنا ضروريا لها[6].

2 عناصر الدورة الحضارية عند مالك بن نبي:

لقد كانت دراسات مالك بن نبي تدور في عمومها حول كيفية إخراج المجتمع المسلم من انحطاطه وتخلفه، ورأى أن المشكلة الأساسية هي مشكلة حضارية تتمثل في كيفية تفعيل عناصر الحضارة الثلاثة، وهي: الإنسان والتراب والوقت. بواسطة تفعيل الدين الإسلامي، وأيُّ تغيير في المجتمع ينطلق من حل مشكلة الإنسان الذي يعتبر أساس عملية بناء الحضارة.

[6]– مالك بن نبي، شروط النهضة، تر:عبد الصبور شاهين، دار الفكر للطباعة و التوزيع و النشر، دمشق، 1986، ص49.

الإنسان:

أولى مالك بن نبي عناية خاصة بالإنسان واعتبره محور الفاعلية في حركة الحضارة، انطلاقا من قيمته ودوره الذي ينتج الحضارة بالتّغيير والحركة. يقول شريف ضيف الله موضحا هذه الفكرة:"أولى مالك بن نبي عناية بالغة بالإنسان في معالجته لمشكلات الحضارة، انطلاقا من قيمته ودوره في التاريخ، وباعتباره الأساس الذي من خلاله ترتقي الحضارة ".[7]

وفي قول مالك بن نبي " غير نفسك تغير تاريخك ".[8]نفهم أنّ التغيير الحقيقي يجب أن يتحقق في أنفسنا أولا وتغيير ما في النفوس، لقوله تعالى: ﴿ إنّ الله لا يغير ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم﴾[الرعد/ 11]. ويعتبر مالك بن نبي أنّ الحضارة ليست منتوج فرد، إنّما هي نتاج جماعي وحتى الشخص في حد ذاته مولود الحضارة، " فالشخص في حدِّ ذاته نتاج الحضارة إذ هو يدين لها بما يملك من أفكار وأشياء".[9]

والإنسان هو من يتفاعل مع التاريخ ويحركه، وهذا ما تحدث عنه بن نبي حين قال:" القضية ليست قضية أدوات ولا إمكانيات، إنّ القضية كانت في أنفسنا، إنّ علينا أولا أن ندرس الجهاز الاجتماعي الأول وهو الإنسان [...] فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ، وإذا سكن سكن المجتمع والتاريخ "[10].

ويعني ما سبق أنّ ازدهار الأمم والمجتمعات غير متعلق بما لها من ماديات، بل أن ما نحتاجه هو نشاط المجتمع وحركته لتزدهر الحضارة، وإذا كان العكس ولم يتحرك المجتمع فيترتب عنه ركود للحضارة.

وأساس ازدهار الحضارة في رأي مالك بن نبي هو أن نواجه المشكلات ولا نجعل حلولها مستحيلة، ونفكر أنه يمكن التغلب على المستحيل ولا نفقد الأمل، وعدم النظر إلى الأمور كأنها أمر تافه وأخذها بجدية، لأنه لا يوجد شيء سهل ولا

[7]- بشير ضيف الله، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2003، ص 206.

[8]- مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 35.

[9]- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، 1986، ص 29.

[10]- مالك بن نبي، تأملات، دار الفكر، دمشق سورية، ط1، 1979، ص 129.

شيء مستحيل. وركز أيضا على القيام بالواجب أكثر من التفكير في الحقوق، وكل مجتمع سائر في طريق الرقي والازدهار معناه أن رصيد واجبه تعدى رصيد حقوقه، وهذا ما حث عليه القرآن حين دعا إلى الاهتمام بالواجب، ثم تأتي الحقوق من بعدها.[11]

التراب:

لقد تناولنا سابقا العنصر الهام في الحضارة ألا هو الإنسان الذي يعتبر عنصرا أساسيا في مكونات الحضارة، والسبب أنّ التراب والوقت لا أساس ولا قيمة لهما بدون الإنسان. وأما "التراب" فإن قيمته مستمدة بشكل أساسي من قيمة الإنسان، والتراب في فكر مالك بن نبي يخضع لمعيار تقدم الحضارة التي تحيط به ويركز في هذا الصدد على قيمة التراب الاجتماعية وقيمة تنوع المساحات التي يتوفر عليها التراب. يقول مالك بن نبي حول هذا الموضوع أنه حين نتكلم عن التراب، لا نبحث في خصائصه وطبيعته، فليس هذا البحث من موضوع الكتاب، ولكننا نتكلم عنه من حيث قيمته الاجتماعية، وهذه القيمة مستمدة من قيمة مالكه، فحينما تكون قيمة الأمة مرتفعة وحضارتها متقدمة يكون التراب غالي القيمة، وحيث تكون الأمة متخلفة، يكون التراب على قدرها من الانحطاط[12].

فطرق استغلال التراب هو العامل الحاسم في بناء الحضارة وتطورها، والتراب لا يقاس بالمساحة بل بكيفية الاستغلال. وقدم مالك بن نبي مثالا حول هذا الاستغلال قائلا:،" انخفض عدد سكان في منطقة جنوب قسنطينة وهي (تبسة) منذ عام 1939 إلى الآن، من مائة وثمانين ألفا إلى أربعين ألفا تقريبا، بينما الماشية التي كانت مورد الإقليم الوحيد نجدها اليوم على وشك الانقراض"[13].

[11]- مالك بن نبي، تأملات، ص 20 – 21.
[12]- مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 199.
[13]- م.ن، ص 203.

فبعد غزو الرمال لتبسة تحولت إلى صحراء ومع تقدم الزمن تحولت من أرض صالحة للزراعة إلى أرض لرعي الماشية ثم إلى الفناء والزوال، ووقف سكانها موقف الضعيف.

وأضاف لنا مثالا آخر كدليل قاطع أنّ التراب يستمد قيمته من مالكه حين قال:"لقد قامت فرنسا حوالي عام 1850 بغرس الأشجار في الناحية الجنوبية الغربية من البلاد، حيث كانت رمال الشاطئ الأطلنطي والمستنقعات الضارة تهدد مصالح أهلها وصحتهم، ولكن سكان تلك المنطقة انطلقوا بهمة وصبر، يوقفون الرمال عند حدّها، وتكبدوا في سبيل ذلك ما تكبدوا، وقضوا عشرين سنة يسدون الطريق على الرمال التي أرادوا صدها [...] و بعدما كانت تلك المنطقة أفقر المناطق أصبحت منطقة ذات حركة اقتصادية جيدة وأول منتج لزيت (التربينتين) في العالم وملجأ صحي للمرضى لكل دول العالم"[14].

الوقت:

دائما ما يشير مالك بن نبي إلى أهمية الوقت وكيفية استغلاله في جلِّ مؤلفاته، والزمن حسبه لا يتحدد كمدة زمنية تقيّم بالساعات، بل في الكيفية التي تنجز بها الأعمال في تلك الفترة الزمنية، فالزمن عنده هو "الذي يتم تكييفه اجتماعيا حيث يحول الزمن إلى زمن اجتماعي بإدماجه ضمن جميع العمليات الصناعية والاقتصادية أو الثقافية باعتباره ركيزة تقوم عليها سائر اطرادات هذه العمليات"[15]، فالأهم في الوقت هو تحويله إلى وقت له قيمة في المجتمع، وفي عملية استغلاله بصفة جيدة، فالوقت عند بن نبي بمثابة " نهر قديم يعبر العالم منذ الأزل، فهو يمر خلال المدن يغذي نشاطها بطاقاته الأبدية، أو يذلل نومها بأنشودة الساعات التي تذهب هباء"[16]

[14] – مالك بن نبي، شروط النهضة، ص205.

[15]– مالك بن نبي، القضايا الكبرى، دار الفكر دمشق، سورية، ط 1، 1991، ص 56.

[16]– مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 211.

وقارن بن نبي في هذا السياق بين الدول الأوروبية التي تحترم الوقت وتوظفه بطريقة منظمة، فنجحت و غذّت نشاطها، وبين الدول العربية والإسلامية التي يذهب الوقت فيها هباءً منثورا، "حتى إننا ننساه أحيانا، وتُنسى الحضارات، في ساعات الغفلة أو نشوة الحظ قيمته التي لا تعوض"[17]. وحتى التربية مثلا تدخل في أهمية الوقت، " نعلِّم الطفل والمرأة و الرجل تخصيص نصف ساعة يوميا لأداء واجب معين، فإذا خصص كل فرد هذا الجزء من يومه في تنفيذ مهمة منتظمة وفعالة فسوف يكون لديه في نهاية العام حصيلة هائلة من ساعات العمل لمصلحة الحياة الإسلامية في جميع أشكالها العقلية والخلقية والفنية"[18].

إن استغلال الوقت استغلالا جيدا سيؤدي إذن لا محالة إلى ارتفاع نسبة الحصاد العقلي واليدوي والروحي وبهذا تنتج الحضارة وتنمو وتتطور.

وبالنسبة لهذا النوع من التجربة، فقد عرفت ألمانيا عقب الحرب العالمية الثانية تدهورا كبيرا وبدأت نموها من درجة الصفر، وبعد عشر سنوات استطاعت ألمانيا أن تحتل مكانة حضارية مرموقة، ويكمن السر، في نظر بن نبي، في الزمن الذي عرفت قيمته وأحسنت استغلاله، فقد فرضت الدولة على مواطنيها العمل ساعتين بالمجان في كل يوم، زيادة عن عملهم اليومي[19]، فالوقت ثروة متدفقة يجب فقط التعرف على كيفية استغلالها جيدا، ولا يتحدد بمدة زمنية معيّنة، إنما بالأعمال التي تنجز في فترات زمنية معينة.

بعد الحديث عن عناصر الحضارة ومكوناتها عند مالك بن نبي وهي الإنسان، التراب والوقت، بقي لنا التطرق للعنصر الرابع في معادلة الحضارة وهو الفكرة الدينية، فالدين هو الفكرة المحفزة التي تجمع بين العناصر الثلاث، " فدور الدين الاجتماعي منحصر في أنه يقوم بتركيب يهدف إلى تشكيل قيم، تمر من الحالة الطبيعية [...] وهذا التشكيل يجعل من الإنسان العضوي

[17]- مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 211.
[18]- م.ن، ص 214.
[19]- ينظر: م.ن، ص 215.

وحدة اجتماعية، ويجعل من الوقت الذي ليس سوى مدة زمنية [...] ومن التراب الذي يقدم بصورة فردية مطلقة، غذاء الإنسان [...] فالدين إذن هو مركب القيم الاجتماعية "[20].

الفكرة الدينية:

يعد الدّين عند مالك بن نبي عنصرا مهما في بناء أي حضارة " فالعنصر الديني فضلا عن أنه يغذي الجذور النفسية العامة، يتدخل مباشرة في الشخصية التي تكوّن الأنا الواعية للفرد، وفي تنظيم الطاقة الحيوية التي تضعفها الغرائز في خدمة الأنا [...] ثم تتحول هذه الطاقة إلى نشاط اجتماعي ثم إلى نشاط مشترك للمجتمع"[21].

والعناصر الثلاثة المذكورة سابقا، لا تعني بالضرورة قيام حضارة، "فالماء في الحقيقة نتاج للهيدروجين والأكسجين، وعلى الرغم من هذا فهما لا يكونانه تلقائيا، فقد قالوا أنّ تركيب الماء يخضع لقانون معين [...] نجد هذا (المركب) موجودا فعلا، هو الفكرة الدينية التي رافقت دائما تركيب الحضارة خلال التاريخ "[22]، بمعنى أن وضع ذرة الهيدروجين مع ذرة الأكسجين لا ينتج بالضرورة ماءً، ذلك لأنه لا بد من وجود مركب يزيد من طاقة التفاعل بينهما لكي ينتج الماء.

إنّ الدين في الأخير هو الأساس المتين الذي تنطلق منه الحضارة وتنظم غرائزه تنظيما عضويا في علاقاتها الوظيفية ببناء إحدى الحضارات.[23]

[20]- مالك بن نبي، مشكلات الحضارة، ص 32.
[21]- م.ن، ص72.
[22]- مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 66.
[23]- م.ن، ص 74-75.

نشأت الحضارة الإسلامية، تبعا لما سبق، بتركيب العناصر الثلاثة بعد " ليلة حراء إلى أن وصلت القمة الروحية للحضارة الإسلامية، وهو ما يوافق واقعة صفين عام 38هـ [...] نزول القرآن إلى شعب بدوي يعيش في صحراء مجدبة، يذهب وقته هباء لا ينتفع به، لذلك فقد كانت العوامل الثلاثة: الإنسان والتراب والوقت راكدة خامدة [...] لا تؤدي دورا في التاريخ"[24].

وحتى الحضارة الأوربية كانت ورائها الفكرة المسيحية، ولكي يستدل مالك بن نبي على هذه الفكرة يستعين بكلام "هرمان دي كسرلنج"(Hermann De Keyserling)*الذي يؤكد فيه على أنّ "الروح المسيحية ومبدأها الخلقي هما القاعدتان اللتان شيدت عليها أوروبا سيادتها التاريخية"[25].

نخلص بعد هذه الدراسة المختصرة لعناصر الحضارة والمركب الديني لها، إلى أنّ منهج مالك بن نبي قد قدم تصورا واضحا للشروط اللازمة للنهضة والتقدم، وقد أكد في هذا الصدد أن عامل الدين من العوامل الضرورية التي تتمازج من خلالها عناصر الحضارة.

[24]– مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 75-76.

*–هرمان دي كسرلنج: فيلسوف ألماني معاصر (1880-1946)، مؤسس مدرسة الحكمة، كان له العديد من الاتصالات مع الشعوب والثقافات الأخرى، و هو أول مفكر غربي أعلى من مكانة الثقافة، و اعترف بالثقافات والفلسفات اللاغربية.ينظر:مجلة أوراق فلسفية جديدة، فلسفة التاريخ وحضورها في الفكر العربي المعاصر، ع 12/11، 2013.

[25]– مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 85.

الفصل الثّاني:

تمظهرات فلسفة مالك بن نبي في روايته

"لبيك: حج الفقراء"

تعد الرواية من أهم الفنون السردية التي تمثل تحفة فنية تتيح للكتاب التعبير عن واقع المجتمعات وقضاياهم المهمة، ولقد استثمرها الأدباء والمفكرون بغرض إيصال تمثلاتهم وتصوراتهم الفكرية للقراء، لأنّ " الأدب يعبر عن ما هو مجتمعي، بمعنى أنّ الأدب وثيقة اجتماعية صادقة، تستجلي كل الوقائع والأحداث التي يعرفها المجتمع، ويعبر عنها المبدع بأسلوبه الفني والبلاغي الجميل ".[26]

نفهم أنّ الأدب ينقل الوقائع والأحداث داخل المجتمعات. و" مالك بن نبي "كان دائما يعالج قضايا مجتمعه، وينقل أوضاعه وهذا ما سنجده في كل القضايا التي طرحها، وحتى في روايته الوحيدة نجد أنه تطرق لهذا الموضوع واعتبر هذا الموضوع مهما، وتبناه في روايته الموسومة:" لبيك: حج الفقراء "، وصور فيها وضع الجزائر إبان الحقبة الاستعمارية الفرنسية، وكما نعلم أنّ ابن نبي من أكثر المفكرين المعاصرين الذين نبهوا إلى ضرورة العناية بمشكلات الحضارة، ولقب بـ " فيلسوف العصر".

وبقراءتنا لهذه الرواية وبعض أعماله نلمح بشكل واضح تجلي روح تلك الفلسفة، والإشكال المطروح كيف استطاع مالك بن نبي أن يقدم الفلسفة في قالب روائي؟ وهل استطاع أن يجمع بين الروح الفلسفية والروح الأدبية الإبداعية؟ لأنّ بساطة أحداث الرواية هي التي تفتح مجالا لطرح هذه الأسئلة، إذ يبدو أن القارئ غير المطّلع على فكر بن نبي الفلسفي، لن يستطع النفاذ إلى المعاني العميقة الثاوية في الرواية، فهي من زاوية النظر هذه بمثابة تجسيد مبسط لكثير مما يؤمن به بن نبي من أفكار وتصورات فلسفية، ولقد نجح في التجرد من كونه فيلسوفا ولبس رداء الأديب الفنان، وبث روح الحياة في فلسفته من خلال استعمال الخيال الأدبي.

واستطاع في أحداث هذه الرواية البسيطة أن يقدم لنا وصفا للمجتمع الجزائري بأصالته ومحافظته على هويته وتراثه ودينه، رغم كل محاولات الاستعمار الفرنسي لطمس كل ما هو أصيل في تكوين شخصية الفرد الجزائري من دين وتاريخ وهوية وحضارة.

[26]–جميل حمداوي، سوسيولوجيا الأدب والنقد، شبكة الألوكة، ص 4، www.almouthaqaf.com.

فرواية " لبيك: حج الفقراء ليست مجرد تعبيرات جمالية بلا أهداف، بل إنها تحمل رسائل عديدة، ويتبين هذا من خلال ما حملته من رموز ودلالات،

وأوّل ما نشير إليه هو العتبات النصية التي هي "نظام معرفي عام هو ما يطلق عليه في الاصطلاح الفرنسي (Paratexte) وتعني مجموع النصوص التي تحيط بمتن الكتاب من جميع جوانبه: حواش وهوامش وعناوين رئيسية وأخرى فرعية وفهارس ومقدمات وخاتمة ".[27]

وأول شيء نلمحه في دراستنا للبعد الفلسفي في رواية " لبيك: حج الفقراء " قبل الولوج إلى متن الرواية، هو المرور بالعتبات النصية (La paratextualité) وأهم عتبة هي دراسة العنوان والغلاف، فالرواية الّتي نشتغل عليها مرتبطة ارتباطا وثيقا بعتباتها المختلفة.

المبحث الأول: دراسة البعد الفلسفي على مستوى العتبات النصية:

أولا: دراسة العنوان:

من ناحية المبنى:

جاء العنوان عبارة عن جملة اسمية مكونة من ثلاث أسماء:" لبيك: حج الفقراء"، جاء (لبيك) مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره (ألبي) منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه جاء على صورة المثنى وهو مضاف والكاف مضاف إليه.

(حج) مفعول به لفعل محذوف تقديره (نريد) منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره وهو مضاف.

[27]–عبد الرزاق بلال، مدخل إلى عتبات النص: دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، بيروت لبنان (د.ط)، 2000، ص 16.

(الفقراء) مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

من الناحية الدلالية:

يعدّ الحج شعيرة دينية موجودة من قبل الإسلام، فرضها الله تعالى على أمم سابقة مثل أتباع ملّة النبي إبراهيم عليه السلام الذين كانوا على الحنفية، حيث جاء في القرآن: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لإبراهيم مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ، وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[الحج/ 26-27].

ولم يشرّع الحج للإسلام فقط، بل شرعته وعرفته الديانات الأخرى لما له من مكانة قيمة. أما عنوان الرواية " لبيك: حج الفقراء" فأتى على شكل تلبية، وحدد نوع الفرد الداعي وحدده بقوله (حج الفقراء)، يعني أنه فقير ماديا وروحيا فقير إلى الله ويدعو أن يخلّصه من الظلام الذي يعيش فيه.

وبما أنّ العنوان يتضمن التلبية والتي تعني إجابة المنادي والدعوة للانتقال من حال إلى حال، وهذه هي حال الداعي الذي كان يعيش فقرا اجتماعيا وآخر دينيا، وقد ترتبت عن هذا الفقر المضاعف أضرارا نفسية متنوعة، ودوائها لن يكون إلا بالرجوع إلى الله والدعوة إليه، فالتلبية تفرغ ما بداخل الفرد من آلام وتقربه من ربه وتجعله في حال السكينة والطمأنينة.

ثانيا: دراسة صورة الغلاف:

جاءت صورة الغلاف متناسقة مع دلالة التلبية، لأنّ كلمة (لبيك) كتبت بخط غليظ جدًا، وهي أول شيء يلاحظه القارئ حين يمسك بالرواية، فتأتيه مباشرة بين عينيه، ولعل الكتابة بالخط الغليظ قد كانت بهدف التأكيد على أنّ الداعي بحاجة إلى خالقه، وبيّنت الحالة النّفسية العسيرة للمنادي وقسوة وضعه.

وبعد كلمة "لبيك" تأتي نقطتان فوق بعضهما، ويبدو أنهما تمثلان بداية الإفصاح عن التلبية، وحتى خط الكلمات بدأ يترقق عكس ما كان في البداية، وهنا يمكن أن نفهم أنّ القوة بدأت تتلاشى، وبدأ الشعور بالفقر الروحي والتضرع إلى الله والإلحاح إليه كي يلبي دعاءه.

وإذا انتقلنا إلى اللون الذي كتب به العنوان هو لون أسود، والأسود يرمز لدلالات كثيرة أولها العيش في ظلام وضياع وحزن، لكن بعد التلبية وتحقيق دعوة المنادي لربه وترفعه عن شهوات الدنيا هنا يصبح هروبهم الوحيد إلى الله فقط لا أحد غيره.

وخلف هذا العنوان نلاحظ غروب الشمس وانعكاسها في البحر بضوء أحمر يميل إلى البرتقالي وصورة الشخص الرافع يديه يدعو إلى الله وحده بعيدا عن ازدحام العالم، ومعنى الغروب هو النهاية؛ نهاية اليوم وتعكس نهاية آلام الداعي، ويمكن أن نصوغ دلالة أخرى وهي لحظة شروق الشمس وبداية يوم جديد بقلب وصفاء غير الذي قبله، فيدعو أن تكون له بداية أخرى في حياته وتقدم له فرصة أخرى مثل هذا اليوم الجميل المشرق.

وبعد هذا يمكن الانتباه لأمر آخر متعلق باللون الأبيض الذي كتب به اسم الكاتب " مالك بن نبي" واسم المترجم " زيدان خوليف " ودار النشر، ومن بين ما يرمز إليه اللون الأبيض، أنه يعبر عن النقاء والسلام والخير والتّجدد، وكأنّ هؤلاء كلهم لديهم رسالة واحدة هي إصلاح المجتمع وتحفيزه للتقرب إلى الله والاعتصام بحبله، كما يوحي أيضا إلى الهدوء والراحة والأمل.

وقد تمظهرت المعاني السابقة في تفاصيل الرواية بطرق مختلفة، فالرواية مشبعة بالرسائل الإصلاحية والنصائح الدينية، حيث ظهر فيها الترابط المتين بين الدين والهوية، فهما الأساس المتين لقيام الشعوب، فعلى الرغم من كل حيل المستعمر الفرنسي الشيطانية الهادفة إلى محو هوية الشعب الجزائري وإيمانه الصادق، إلا أن قوة الدين والإسلام ثابتة عند هذا الشعب وقوية لا يمكن زعزعتها أو كسرها.

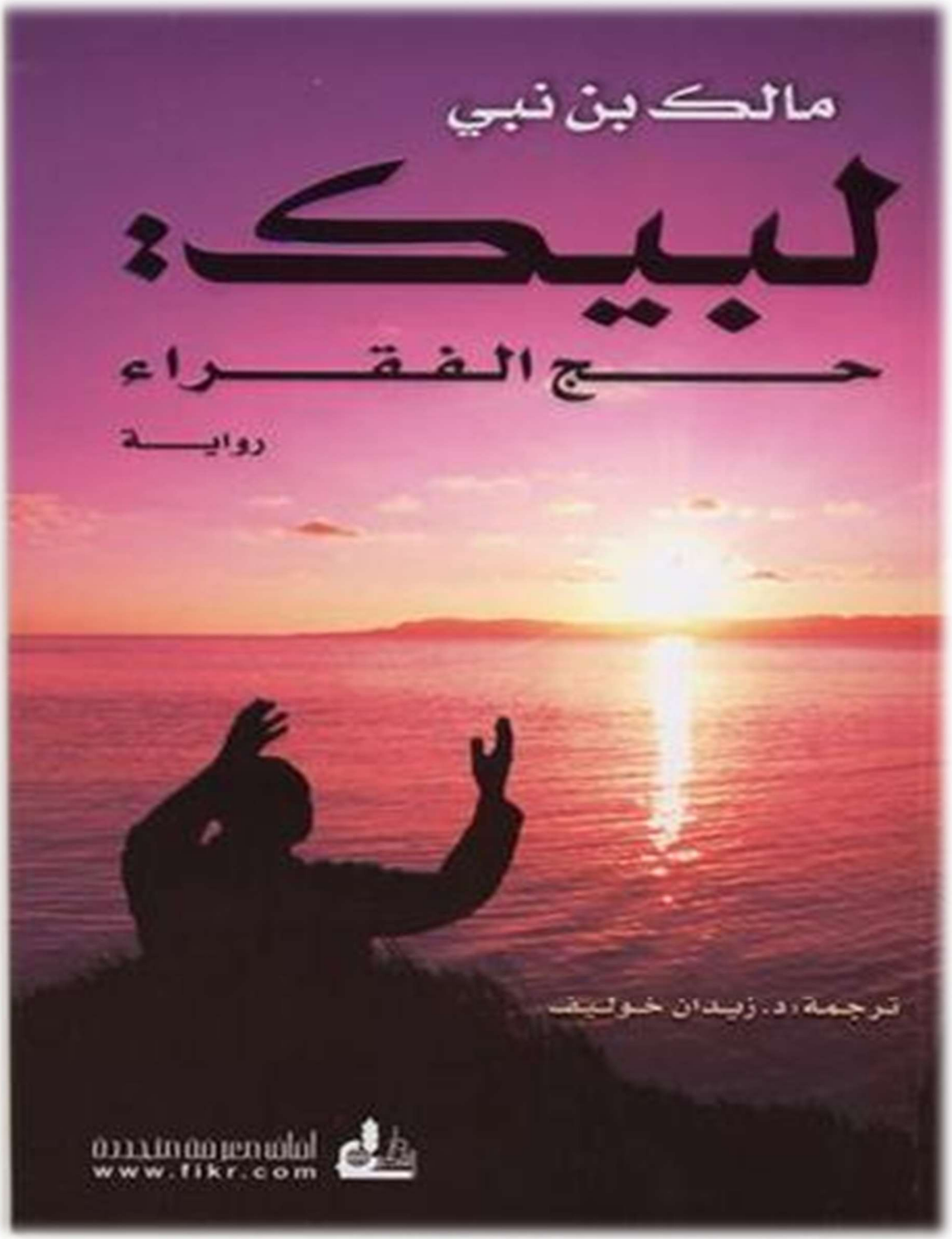
مالك بن نبي
لبيك:
حج الفقراء
رواية
ترجمة: د. زيدان خوليف
www.fikr.com

المبحث الثاني: دراسة الأبعاد الفلسفية على مستوى المتن:

لا شك أن نظرة متأنية في تفاصيل رواية "لبيك: حج الفقراء" ستكشف أن هناك العديد من الدلالات والرسائل والرموز التي أراد الكاتب إيصالها للمتلقي، وعبر عنها بفلسفة مضمرة، فكل ما ذكره في الرواية من أسماء شخصيات وأمكنة وأزمنة وأحداث لها دلالاتها حينما نستحضر المحاور الكبرى لفلسفة مالك بن نبي.

أولا: البعد الفلسفي على مستوى الشخصيات:

تعتبر الشخصية الروائية من أبرز المكونات التي يقوم عليها العمل السردي، وتدعم العمل الروائي وتضمن حركة النظام والتفاعل داخله وتطور أحداثه، " فالشخصية هي القطب الذي يتمحور حوله الخطاب السردي، وهي عموده الفقري الذي يرتكز عليه ".[28]

تمثل الشخصية إذن ركيزة أساسية في العمل الروائي، وتنقسم إلى نوعين هما: الشخصيات البطلة والشخصيات الثانوية.

وفي روايتنا " لبيك: حج الفقراء " تم الإعلان عن بطلي الرواية، حينما اعترف بن نبي قائلا:" لم يكن لديّ متسع من الوقت لأتعرف على الأشخاص بصورة كافية، خاصة الشخصيتين اللتين قامت حولهما القصة وهما الفحام والطفل اللذان عاشا في مدينة عنابة ".[29] والفحام هو "إبراهيم" أما الطفل فهو "هادي".

على مستوى الشخصيات البطلة:

اعتمد مالك بن نبي في هذه الرواية على نوعين من الشخصيات البطلة، الأولى هي شخصية إبراهيم، والثانية هي شخصية الهادي، ولقد ارتبطت الشخصيتان ارتباطا وثيقا بسبب مصيرهما المشترك وتشابه التغيير الذي طرأ على حياتهما.

---

[28]–جميلة قيسمون، الشخصية في القصة،مجلة العلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، العدد6، 2006، ص 195.

[29]– مالك بن نبي، لبيك: حج الفقراء، تر: زيدان خوليف، دار الفكر، دمشق، ط 1، 2009، ص 24.

✓ **شخصية إبراهيم:**

إنّ شخصية إبراهيم هي شخصية محورية، حيث اتصلت به كل أحداث الرواية منذ البداية إلى النهاية، وبدأ الكاتب الحديث عنه في بادئ الأمر بعرض حالته الحرجة التي كان عليها وهو سكير، ويظهر هذا الأمر حيت قال الراوي:"ماذا بعد يا إبراهيم؟ مرة أخرى ثملاً؟! ألا تفكر أنك في هذه الساعة المتأخرة تزعج جيرانك المساكين؟ ".[30]

وينتقل الراوي بعد وصف حال إبراهيم الحرجة إلى وصف ملامحه قائلا:" لون بشرته الباهت الخاص بسكان مدن شمال إفريقية يكشف عن أصوله الحضرية ".[31]

وأما ما تعلّق بعمر البطل إبراهيم فهو في الثلاثين حسب ما ذكره في الرواية، وأمّا ملبسه فيوحي إلى الفقر. يقول الراوي واصفا هذه الحال:" كان يرتدي مئزرا طويلا يصل إلى الكعب ومنتعلا حذاءً قماشيا ويضع فوق رأسه شاشية متآكلة وعليها دسم القرف".[32]

لم يكن هذا الوصف، فيما يبدو، موجها فقط لإبراهيم، فقد أدى دورا فعالا في وصف حالة الشباب الجزائري في تلك الفترة، فكانوا فقراء عاطلين عن العمل بسبب الاستعمار،" ففي بلاد مستعمرة كالجزائر، نرى أنه ليس فيها طبقات، وإنما هناك صنفان من الناس: الصنف الأول: وهو الذي يسكن المدينة، إمّا عاطل أو لا يعمل شيئا، والصنف الثاني: وهو الذي يسكن البادية مرتحلا بلا مواشي، فلاحا بلا محراث ولا ارض ".[33]

---

[30]– مالك بن نبي، لبيك: حج الفقراء، ص 32.

[31]– م،ن، ص 34.

[32]– م.ن، ص 34.

[33]– مالك بن نبي، شروط النهضة، تر: عمر كامل مسقاوي، عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، ط 3، 1929، ص 114.

وإبراهيم صاحب دكان فحم، وكان دائم السكر حتى أصبح أطفال حيّه ينادونه بـ "بوقرعة"، لكن رغم وضعه المزري وحالته السّيئة، كان بداخله شعور يدفعه إلى التوبة دفعا، بالرغم من استسلامه لثقافة المستعمر وعاداته السيئة التي تشجع على شرب الخمر والسكر، ويظهر هذا الأمر حين انتهر رفيقه الذي حاول أخذه إلى الحانة قائلا:"أتظنني كافرا مثلك؟ أنت الذي لا تعرف شيئا عن دينك، فأنا قد حفظت ستين حزبا في حين أنك لا تحفظ ما يكفي لتأدية صلاتك ".[34]

نفهم من هذا الكلام أنّ قوة الدّين في نفس المسلم لا تستسلم أمام قوة الاستعمار الذي يريد أن يفرض عاداته السلبية على المجتمع الجزائري والعربي عامة، فعلى الرغم مما يبدو من قابلية الفرد للاستعمار وإحساس بعضهم بالانتماء إلى المجتمع الأوروبي، لكن هذه القابلية قابلية مؤقتة ومزيفة، لا تدوم طويلا، فلن يلبث الفرد في هذه الحال حتى يستفيق ويدرك وضعه الحقيقي، وأول ما يستنجد به هو العودة إلى دينه الذي يعد قوة أساسية لبناء أي حضارة، ومن هنا نفهم أنّ " مالك بن نبي" أراد أن يرسل رسالة واضحة للمستعمر الفرنسي من خلال هذه الرواية التي كتبها بلغتهم، وفحوى الرسالة أن المستعمر مهما حاول قتل هوية المسلم، ففي النهاية يستفيق ضمير هذا المسلم ويتصدى بكل ما أوتي من قوة لتلك المحاولات، فالمستعمر لا يريد، في آخر الآمر، شيئا إلاّ " أن نكون أفرادا تغمرهم الأوساخ، ويظهر في تصرفاتهم الذوق القبيح، حتى نكون قطيعا محتقرا، يسلم نفسه للأوساخ والمخازي، فيجدنا ناشطين لتلبية دعوته".[35]

ولا ريب أن الأفكار السّابقة قد تجسدت في الرواية من خلال شخصية إبراهيم، فبعد أن كان سكيرا وضعيفا فكريا ونفسيا وكانت فيه قابلية كبيرة للانمحاء دينيا والاندثار هوياتيا، يستيقظ على حلم جعله يغير من نفسه، وفي صباح اليوم اغتسل واستنجد بعمه محمد الذي ساعده في التجهيزات للذهاب إلى الحج، والتخلص من حياته القذرة والمنبوذة التي غمرها الفحم والخمر. وفي هذا يقول الراوي واصفا إياه:"اتجه [أي إبراهيم] إلى حمام شعبي في الحي بسرعة اغتسل ونظف كامل بدنه

[34]– مالك بن نبي، لبيك: حج الفقراء، ص 38.

[35]– مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 231.

[...] لقد اقتلع قناع (بوقرعة) لكي يعود ببساطة إلى شخصية إبراهيم، غمره إحساس بأنه تخلص من ضيق كأنه كان يعيش بداخله حتى هذه اللحظة دور شخص بغيض فرض عليه في مسرحية كوميدية بذيئة ".[36] وحقا نجح إبراهيم وركب السفينة وأحس أنه تخلص من الماضي التعيس حين رأى وجه زوجته ممتلئا بالرضا، وفي هذا يقول الراوي:" استرجع إبراهيم ماضيه في لحظة تدبر. امتزج في ذهن إبراهيم، وجه زهرة الحزين المبتسم مع وجه أمه المشرق والممتلئ بالرضا، ذاب الوجهان فيه وشكلا رمزا واحدا لطريق مضيء فتح أمامه فجأة، فأحس بأنه قد نفذ بجلده من إمبراطورية الظلام ".[37]

وفي السفينة يلتقي إبراهيم بالحجيج وربان السفينة وهنا تلتقي الثقافات وتمتزج الأفكار، وبعد انتهاء مناسك الحج يقرر إبراهيم الاستقرار بالمدينة المنورة ويطلب من زوجته أن تلتحق به لبداية جديدة معه عبر رسالة حملها لها عمه محمد.

ولا يفوتنا أن نشير في هذا السياق إلى واحد من المواقف الهامة ألا وهو التحوّل الإيجابي والابتعاد عن ثقافة الغير والتخلص منها نهائيا، فقد نجح إبراهيم حقا في تحقيق هذا الأمر بالعودة إلى أصله ودينه، بعد أن كان مدمنا على شرب الخمر لدرجة أنّ الجميع فر منه بما فيهم زوجته التي تعد من أقرب الناس. وبالعودة إلى أفكار بن نبي الفلسفية يمكن الخلوص إلى أن شخصية إبراهيم وحاله السابقة بمثابة تشخيص لبعض تلك الأفكار ومثال مبسط لها ولطرق علاجها. يقول مالك بن نبي في كتاب الظاهرة القرآنية:"فيما يخص هذا الأمر نرى أنه تحدث عنه مالك بن نبي وكان إبراهيم بعد ذلك مثالا له " لقد حاولنا حتى الآن أن ندرس الأفكار القرآنية بالنسبة للذات المحمدية، من زاويتها النفسية والتاريخية؛ ومن المفيد في هذا الفصل الأخير أن ندرسها في أهميتها الاجتماعية. فهناك مثلا مشكلة في تاريخ الإنسانية لا تفتأ تواجهها وخاصة في هذه الأيام، تلك هي مشكلة الخمر".[38]

---

[36]– مالك بن نبي، لبيك: حج الفقراء، ص 56.

[37]– م.ن، ص 71.

[38]– مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، تر: عبد الصبور شاهين، ط 4، 1987، ص 297.

عبرت رواية "لبيك: حج الفقراء"عن الفترة التي كان فيها المجتمع الجزائري تحت ويلات الاستعمار الفرنسي، وكيف كانت بعض شرائح هذا المجتمع مسايرة لعادات وتقاليد المجتمع الفرنسي. فالسكير في المجتمع الجزائري المحافظ إنسان منبوذ من طرف الجميع، عكس المجتمع الفرنسي الذي يرى في الأمر أنه سلوك خاص بالطبقات الغنية.

وصفة السكير بالنسبة لفرد من المجتمع الجزائري تعد كانتماء واحتكاك بثقافة الغير ويدخل هذا ضمن القابلية للاستعمار، لكن في النهاية تحرر إبراهيم من ثقافة الغير، وهذا بالرجوع إلى دينه. يقول الراوي واصفا إبراهيم على لسان رفيقه: "يبدو عليك مظهر الحاج، فيك نفحة من نفحات الجنة "[39]

- ✓ **شخصية الطفل هادي:**

أشار مالك بن نبي إلى عدة فئات عمرية في هذه الرواية منها الشباب الذين يمثلون جيل اليوم، ويعد الأطفال رمزا لجيل الغد أي أنه يشير إلى الحاضر والمستقبل.

وقد وصف بن نبي الطفل هادي بقوله:" شعره أشعث ورجلاه حافيتين يرتدي سروالا كثرت ثقوبه كغالبية أطفال بونة"[40] نفهم مباشرة من هذا الوصف أنّ الطفل هادي يعيش في فقر مدقع دون مأوى أو حتى عائلة، ويقصد بقوله كغالبية أطفال بونة، حال أطفال الجزائر زمن الاستعمار وكيف حرموا من حقوقهم، ولكن هادي بذكائه تحول من متشرد وماسح أحذية إلى حاج وطفل مكفول.

فعلى الرغم من فقر الطفل هادي وعدم امتلاكه للمال ولا لأوراق السفر إلى الحج، وهذا هو حال أغلب أطفال الجزائر وقت الاستعمار وهذا الأخير أثر في كل الأطوار، " ولقد رأينا هذا (المعامل) يؤثر في مادة الفرد في جميع أطوارها، يؤثر فيه وهو

[39]– مالك بن نبي، لبيك: حج الفقراء، م.س، ص 27.
[40]–م.ن، ص 76.

طفل[...] أما إذا فقد من نشأته الأب فسيكون الأمر أدهى وأمرّ ولا سوف يؤول صاغرا إلى ماسح أحذية ".[41] وهذا ما حلّ بـ الهادي لكنه نجح في التسلق خفية إلى السفينة كي يهرب من الظروف القاسية التي كان يعيشها، لكن الأمر لم يدم طويلا إلى أن اكتشف أمره في المركب وحين أراد القائد معاقبته هنا تبينت الروح الاجتماعية التي يتمتع بها المجتمع الجزائري مجسدين فيها قيم الإسلام وكما جاء في قولهم: " يا سيدي، هذا الطفل مسكين، يريد فقط أن يحجّ، ليس له أبوان يدفعان عنه المستحقات ولكن ان أردت سندفع بدلا عنه [...] أنا سأفعل ذلك ".[42]

على مستوى الشخصيات الثانوية:

بعد الحديث عن الشخصيات البطلة ننتقل للحديث عن الشخصيات الثانوية أو الفرعية، فحتى هي لها أهمية داخل المحتوى السردي، وهذا بتفاعلها مع الشخصيات البطلة في تحريك الأحداث، ففي رواية "لبيك: حج الفقراء" كان لهذه الشخصيات دور فعال في تمثل الكثير من محاور فلسفة مالك بن نبي، وإيصالها إلى جمهور واسع من القراء.

- ✓ **العم محمد:**

أشرنا سابقا أنّ مالك بن نبي أشار في روايته إلى كل الفئات العمرية منها الشباب والأطفال، وبعدها ننتقل إلى فئة الشيوخ وهو العم محمد الذي يقول الراوي بخصوصه:" كان شيخا له لحية بيضاء وحول عنقه سبحة مثل هؤلاء الشيوخ الذين نجدهم على درج مدخل جامع الباي ".[43] نفهم من هذا الوصف أن مالك بن نبي يتحدث عن رجل كبير في السن، وأما السبحة التي في عنقه فترمز إلى تمسكه بالدين والهوية، رغم محاولة المستعمر طمس ذلك.

[41]- مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 221.
[42]- مالك بن نبي، لبيك: حج الفقراء، ص 92.
[43]- م.ن، ص 33.

فالعم محمد كان دائم الطيبة والصبر، وكان الوحيد الذي يستر عيوب إبراهيم السكير وينصحه، "أنت مسكين يا إبراهيم، أنت لا تستشعر ذكرى والديك اللذين كانا مؤمنين تقيين [...] ليحفظك الله، ادخل، ادخل مخاطبا السكير وهو يمد يده إليه لكي يساعده على تجاوز العتبة".[44]

إنّ العم محمد شخصية تحب الخير وتساعد الغير، وكان دائم الدعاء لهداية إبراهيم،و كان سندا له بعد وفاة والديه، وكل هذه الصفات تمثل أصالة الجزائر التي تتوق إلى النهضة والمستقبل الزاهر.

- ✓ **العمة فاطمة:**

لم ينس مالك بن نبي دور المرأة في بناء الحضارة، فالعمة فاطمة زوجة العم محمد، هي الأخرى اعتبرت إبراهيم كابنها وكانت هي الأخرى سندا له، ويتضح هذا الأمر في قول الراوي:" كانت زوجة الشيخ في انتظارهما وقد عبقت الغرفة التي خصصت للإستضافة الحاج بالبخور، كانت تكن له مشاعر أمومة لأنها رأته وهو يكبر".[45]

- ✓ **الزوجة زهرة:**

كانت زهرة زوجة إبراهيم الصبورة والمخلصة. يقول الراوي:" هذه الزوجة المخلصة التي اختارها له والده والتي قاست معه".[46] فبالرغم من قساوة إبراهيم عليها وطلاقها منه، لكنها ظلت صامدة وصبورة ولم تتزوج بعده، "مع أنّها كانت مطلقة، فقد رفضت أن تتزوج مرة أخرى إكراما لذكرى حمويها اللذين أوصياها بابنهما وهما على فراش الموت".[47]

- ✓ **صديق إبراهيم:**

---

[44]- مالك بن نبي، لبيك: حج الفقراء، ص 34.

[45]- م.ن، ص 68.

[46]- م.ن، ص 71.

[47]- م.ن، ص.ن.

هذه الشخصية كانت مع إبراهيم طوال الوقت قبل توبته، وكان هو الآخر سكيرا وثملا في كل الأوقات. ويتضح هذا الأمر حين قال الراوي مثلا:" في واحد من هذه الأزقة تراءى طيف شخصين مترنحين توقفا أمام باب الدكان، وتأهب أحدهما لفتح الباب فحين تمايل الآخر لحظة ثم استلقى أرضا على امتداد حائط المتجر مخاطبا صاحبه بصوت مخمور: دبر أمرك، أنا سأنام هنا ".[48]

وقد أظهرت تفاصيل الرواية أنّ إبراهيم عند توبته لم ينس صديقه وتمنى له أن يتوب هو الآخر ويتبعه إلى الحج، ولما حدثه إبراهيم حول هذا الأمر "قال متمتما: إن شاء الله ".[49] وأضاف في موضع آخر" لا تنسني يا أخي إبراهيم في دعواتك عند سياج النبي، فليرحم الله والديك".[50]

لا شك أن كل هذه الكلمات قد رسمت روح الأخوة القوية بين إبراهيم وصديقه، وكيف يمكن لقوة الدين أن تغير كل الأمور وتصلحها.

- ✓ **الجيران:**

الحديث عن الجيران يعني الحديث عن الجماعة أو المجتمع بشكل عام، وعلاقة إبراهيم بجيرانه قد مرت بمرحلتين:

مرحلة الرفض: وهي حين كان سكيرا، وكان الجيران يهربون منه، حتى وصل الأمر إلى أن طردوه، ويظهر هذا الأمر حين قال الراوي:" تمتم معتذرا لكن الجيران قد أصدروا حكمهم ورأوا أنه قد تمادى كثيرا، وحددوا أجلا للعم محمد لرحيل إبراهيم".[51]

---

[48]- مالك بن نبي، لبيك: حج الفقراء، ص 32.

[49]- م.ن، ص 72.

[50]- م.ن، ص 74.

[51]- م.ن، ص 79.

وواضح أن ما قام به الجيران لم يكن عبثا أو ظلما لإبراهيم، لأنّ حضارتهم ودينهم وأصالتهم ترفض المدمن على الخمر، ولأن الخمر من عادات المستعمر وثقافته.

مرحلة القبول: هي مرحلة الترحيب بإبراهيم بينهم وعودته إلى أحضان المجتمع بعد أخذه قرار التوبة والعودة إلى الأصول، ولقد كوفئ على ذلك بأن أصرّ الجيران أن يهدوا له قفة.[52]

فالعودة إلى الأصل دائما تعد سببا في تقدم الحضارة، " تلك القيم الخالدة التي نجدها كلها وجب علينا العودة إلى بساطة الأشياء، أي في الواقع كلها تحرك رجل الفطرة، وتحركت معه حضارة في التاريخ ".[53]

- ✓ **الأطفال:**

في هذه الرواية نرى أنّ بن نبي تحدث عن فئة الأطفال واهتم بذكر صنف الأطفال الفقراء والمتشردين، ولم يكن هذا الأمر عبثا لأنّ المستعمر لم يرحم إبان احتلاله للجزائر هذه الفئة العمرية.

أما عن علاقة الأطفال بإبراهيم فقد كانت على مرحلتين: حين كان سكيرا وحاله حال يرثى لها، حيث لم يكونوا يحترمونه وينادونه (بوقرعة)، وهذا ما يفصح عنه النص الآتي على لسان الراوي حيث يقول:" مرت هذه الذكريات في مخيلة إبراهيم الذي لم يرى حاله الراهن منذ أمد بعيد، لقد تنبه إلى وضعه المزري الذي وصل إليه؛ هذا الوضع المخزي الذي يعيّره به صبيان أزقة بونة بلقب "بوقرعة" (صاحب قارورة النبيذ)".[54]

[52]– مالك بن نبي، لبيك: حج الفقراء، ص 70.

[53]– مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 90.

[54]– مالك بن نبي، لبيك: حج الفقراء، ص 49.

رفض الأطفال إبراهيم بسبب وضعه المزري، لكن سرعان ما أصبحوا ينادونه بالحاج إبراهيم ويحترمونه لأنه غير نفسه من حال يرفضها المجتمع بكل فئاته إلى حال أخرى محل احترام ونظرة حسنة، حيث إنه " التقى في طريقه الصبية الذين اعتادوا مطاردته والسخرية منه، تعجب منهم، لأنّهم لم ينعتوه هذه المرة باسم العار (يا بوقرعة [55])".

فهذه هي ردّود الإنسان تجاه الفرد وهي ردود تحكمها عادات وتقاليد ودين، فإن احترم الفرد نفسه فسينال القبول والاحترام ويمنحه المجتمع القيمة التي يستحقها، وإن عكسها سينبذ ويطرد.

- ✓ **الحجاج:**

يحتل الحج مكانة ووزنا وقيمة كبيرة بالنسبة للمجتمع الجزائري وكافة الشعوب الإسلامية، وهذا ما لمسناه في الرواية، وحتى لقب الحاج له مكانة خاصة " فالحاج ليس ضيفا عاديا لذا يجب أن تحفظ أصول الضيافة معه".[56] ونرى أنّ إبراهيم والطفل هادي قد كوّنا صداقات مع أجناس أخرى وتبادلوا أطراف الحديث مع غيرهم في المركب عن اتجاههم لأداء فريضة الحج، فهناك تختلط الشعوب وتتعايش، وهذا شبيه بما حصل لإبراهيم بطل الرواية الذي "كان [...] على عجلة من أمره ليختلط مع باقي الحجاج الآتين من أمصار أخرى ". [57]

فالحج مكان لتلاقي كل المسلمين باختلاف أعراقهم وأجناسهم، حيث كان العامل الديني محفزا قويا للاجتماع والتعارف.

ثانيا: البعد الفلسفي على مستوى المكان:

يعد المكان عنصرا أساسيا في النص الروائي، ومن خلاله تتحرك الشخصيات، وفي رواية "لبيك: حج الفقراء" كان للمكان أهمية كبيرة وكل مكان قد حمل عدة دلالات، وسنبدأ الحديث عن أول مكان أشير إليه في الرواية ألا وهو مدينة بونة:

---

[55]- مالك بن نبي، لبيك: حج الفقراء، ص 62.

[56]- م.ن، ص 29.

[57]- م.ن، ص 91.

✓ **مدينة بونة (عنابة):**

بدأت أحداث الرواية في مدينة عنابة وكانت تسمى قديما (بونة)، وبينت قوة الدين الإسلامي في المجتمع الجزائري والفقر الذي عاشه في فترة الاستعمار الفرنسي أن " عنابة كانت تعيش في عرس وكانت تستقبل الحجيج الوافدين بالقطارات والذين كانت بواخرهم قد أرست. فينتشرون في المدينة للتزود بالزاد الذي يكفيهم للرحلة، أو للصلاة في المسجد ".[58]

ومن هذا الكلام نفهم أن أهل عنابة يفرحون ويرحبون بالحجيج، " وكثير من الحجيج تستضيفهم عائلات المدينة، حيث تتشرف بتقديم آخر الوجبات للمتوجهين إلى البقاع المقدسة ".[59]

ففي ذلك الوقت كان الحج أغلى رحلة في قلوب المسلمين، فهي رحلة دينية للتطهير والتغيير إلى الأفضل.

✓ **دكان الفحم:**

لقد وصف مالك بن نبي بدقة هذا الدكان الذي يعتبر مكان عمل إبراهيم والذي يرمز إلى شخصيته، "وكانت تتدلى خيوط العنكبوت، من خشب السقف الذي لا يمكن التعرف من خلاله على طبقة كلس الجير الممسوحة لكثرة تراكم غبار الفحم [...] وفي ركن منه، توجد كومة فحم بجانبها أكياس مملوءة لم تفتح بعد ".[60]

[58]- مالك بن نبي، لبيك: حج الفقراء، ص 29.

[59]- م.ن، ص.ن.

[60]- م.ن، ص 34-45.

نعم بهذا الوصف الدقيق وصف ابن نبي دكان السكير إبراهيم، ويبدو أن أوصاف الدكان تنطبق انطباقا تاما على حال إبراهيم الروحية والنفسية، فهي حال سوداء سواد الفحم، ومتسخة اتساخ الدكان، ويمكن أن تكون تلك الأوصاف بهدف إعطاء لمحة عامة لما عاشته الجزائر في ذلك الوقت، والوضع المزري الذي وصلت إليه وكثرة البطالة والفقر.

- ✓ **المسجد:**

تحدث بن نبي عن المسجد بأنه مكان يدخله الطّاهرون فحسب، وقد وصفت الرواية هذا الأمر حين لم يجرؤ إبراهيم "على تخطي عتبة باب المسجد، حيث تناهت إلى مسامعه همسة عادة ما تسمع عند أبواب المساجد في أوقات الصلاة إنه يعرف هذه القوة التي تمنع كل مسلم، من تجاوز عتبة المسجد أو تناول المصحف إذا لم يكن طاهرا إذ لم يتوظأ"[61]، فالمسجد مكان لتنظيف الروح، فعلى الرغم من أن إبراهيم كان سكيرا لكنه يعلم أصوله الدينية، التي تعلمها في صغره، والدليل على قوة الرادع الديني قول الراوي واصفا نفسية إبراهيم:" أثقله هذا الإحساس وأقعده عند عتبة باب المسجد"[62].

- ✓ **الحمام الشعبي:**

لم يرض إبراهيم على نفسه أن يتوب ولا يغتسل، فـ"اتجه إلى حمام شعبي وبسرعة اغتسل ونظف كامل بدنه [...] وعندما خرج كان يبدو كأحد الأشراف".[63]والحمام في الدول العربية هو إرث حضاري يعبر عن هوية شعوبها.

- ✓ **العبارة:**

[61]- مالك بن نبي، لبيك: حج الفقراء، ص 53.

[62]- م.ن، ص.ن.

[63]- م.ن، ص 56.

كان المركب بالنسبة لإبراهيم الحل الوحيد لبداية جديدة وخلق روح أخرى نظيفة والابتعاد عن الركود والاستهتار فـ"عندما وضع رجليه على المركب شعر كأنه تخطى عتبة عالم أطلق زفرة كلها رضا الحمد للهِ ". [64] وهكذا بركوبه العبارة متّجها إلى الحج، استطاع التخلص من ماضيه السيئ.

- ✓ **المدينة المنورة:**

في آخر الرواية أشار إبراهيم أنه قرر العيش في المدينة المنورة، وحتى إنه وجد عملا أحبه وهو بيع القهوة، فقرر أن لن يعود أبدا لأنّ هناك أحس بأنه إنسان جديد حيث يقول: "أحس وكأني إنسان جديد وأرى من حولي عالما جديدا أريد العيش فيه إنشاء الله "[65]. وتمنى في الرسالة التي أرسلها لعمه أن تتبعه زوجته زهرة للعيش معه، إذ يقول:" فأرجوك أن تسلم لها بقية ثمن بيع البيت حتى تتمكن من تحمل نفقات السفر".[66]

إنّ المكان في هذا النص السردي جاء بالترتيب، وكل مكان يعبر عن مرحلة من مراحل حياة إبراهيم التي تغيرت من حال إلى حال، وحتى حياة الطفل هادي تغيرت مثل حياة إبراهيم، كما تغيرت نظرة الجيران وزوجة إبراهيم حوله، وهذا دليل أنّ المكان يلعب دورا مهما داخل النص الروائي ويؤثر في الشخصيات.

ثالثا: دراسة البعد الفلسفي على مستوى الزمان:

يكتسي الزمان في العمل الروائي نفس أهمية المكان، وكل واحد يكمل الآخر ولا يمكن أن يكون العكس، وفي رواية " لبيك: حج الفقراء " جاء الزمان مناسبا للمكان وله دلالاته ويبرز هذا الأمر في قول الراوي مثلا:" في هذا العام وافق موسم

[64]- مالك بن نبي، لبيك: حج الفقراء، ص 75.
[65]- م.ن، ص 155.
[66]- م.ن، ص 156.

الحج شهر أبريل شهر البساتين والنسيم العليل، الذي ينثر على الأرض نوريات الورود وزهور شجرة البرتقال فيغمر السهل العنابي بعقبات بلسمية ".[67]

ففصل الربيع فصل التفتح والخيرات بعد عناء الشتاء الذي يظل غير مستقر وهذا يمثل بالتدقيق شخصية إبراهيم وهادي لأنّ الحياة التي كانا فيها قبل الحج والتي امتازت بالفقر والتشرد وعدم الاستقرار، لكن بعد الحج تغير كل شيء إلى الأفضل وأصبحت لحياتهما قيمة.

فبمرور الزمن يتغير طبع المجتمعات، فقد تحدثت الرواية عن مدينة عنابة خلال فترة الاستعمار، وعبرت عن ذلك التغيير الذي مس جانبا كبيرا من حضارتها وتغلغل عناصر حضارية غريبة عنها، وخير مثال عن ذلك هو الحديث عن الخمر الذي انتشر في المجتمع في ذلك الزمان.

ونرى أنّ " مالك بن نبي" حافظ بشدة على عدم وجود فوضى في الزمن وجاء مرتبا ولا نلاحظ انتشار فكرة الاستباق والاسترجاع مثلما يحدث في الرواية المعاصرة.

[67]- مالك بن نبي، لبيك: حج الفقراء، ص 28.

المبحث الثالث: التيمات الفرعية لبناء الحضارة عند مالك بن نبي:

لقد تناولنا فيما سبق تعريف الحضارة عند " مالك بن نبي"، وتطرقنا إلى عناصر تركيب الحضارة الأساسية وهي: الإنسان والتراب والزمن. وهذه العناصر لا نفع لها إن لم تجمعها الفكرة الدينية فهي التي تسيطر على روح الفرد، "فالعنصر الديني عامة، فضلا عن أنه يغذي الجذور النفسية العامة على ما بيّنا، يتدخل مباشرة في الشخصية التي تكوّن (الأنا) الواعية للفرد، وفي تنظيم الطاقة الحيوية التي تضعها الغرائز في خدمة هذه الأنا".[68]

وتعد " **الفكرة الدينية** " من أهم الميزات الفكرية لدى " مالك بن نبي " في مشروعه الحضاري، فقد استقرأ أسباب التخلف والجمود في الجزائر مقابلا إياه بمشروع حضاري يخرج الأمة من الضعف والقابلية للاستعمار لكي تستعيد كرامتها ومنزلتها. وهذه الفاعلية في الفكرة الدينية التي يحركها باعتباره محركها الأساسي، وعنصرا هاما في المعادلة الحضارية.

فكل شخصية في الرواية لها رمز ودلالة، وهو ما يطلق عليه " شعرية الأسماء "، وكلها حملت دلالات دينية، فاسم إبراهيم مرتبط بقصة سيدنا " إبراهيم " عليه السلام، لأنه مرتبط بالبيت الحرام، وفي الرواية كذلك ارتبط إبراهيم البطل بهذا البيت وسعى إليه سعيا، فبعد أن كان منحرفا ومحتكا بالمجتمع الأوروبي وكاد أن يندمج في حضارتهم، لكن عقيدته وفطرته جعلته يستدرك وضعه المزري ويعود إلى أصله ودينه، وذلك بأداء فريضة الحج، ومن هنا تكمن قيمة الدين وقوته في بناء الحضارة. و"ومعنى ذلك أنّ الدين يتدخل في هذا البناء، أعني في تحديد العناصر الشخصية للفرد، أو (الأنا)".[69]

[68]- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر الجزائر، ط 3، 1986، ص 72.

[69]- مالك بن نبي، لبيك: حج الفقراء ، ص 69.

ويرمز اسم العم محمد إلى الاقتداء بأخلاق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، فالبرغم من كل الإزعاج الذي يسببه له إبراهيم في كل ليلة وهو سكير كان دائما يساعده ويدعو له بالهداية والعودة إلى الطريق الصحيح، حيث قال له في أحد المرات:" ليحفظك الله، ادخل، ادخل، مخاطبا السكير وهو يمد يده إليه لكي يساعده على تجاوز العتبة ".[70]

واسم فاطمة هي زوجة العم محمد، وهذا الاسم يمكن ربطه بفاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي الأخرى تحمل أخلاقا فاضلة، يقول الراوي واصفا بعض أخلاقها:" كانت زوجة الشيخ في انتظارهما وقد عبقت الغرفة التي خصصت لاستضافة الحاج بالبخور، كانت تكن له مشاعر أمومة [...] استقبلته بحنان حرك فيها مشاعر عدّة"،[71] فاسم فاطمة في الرواية عكس لنا أخلاق النساء المسلمات.

ونلاحظ " تغييرا أخلاقيا " لبطل الرواية وكيف ساعده هذا الأمر في تخطي المستعمر وفكرة "القابلية للاستعمار" التي اشتهرت بها فلسفة " مالك بن نبي"كما شرحها بدقة وخصص لها جزءا خاصا في كتابه " شروط النهضة "،"وبديهي أنه في حالته هذه لا سبيل له لأن يقوم بأعماله إلاّ بالقدر الذي يقدره الاستعمار له، فهو يعيش كأن يدا خفية، وتارة مرئية، تشتت معالم طريقه، وتقصي باستمرار أمامه العلامة التي تحدد هدفه، فلا يدركه أبدا".[72]

وحتى الطفل هادي تعرض لهذه القابلية وأصبح منظف أحذية وفردا ضعيفا، لأنه يتيم الأبوين، وقد تناول بن نبي هذا الموضوع في كتابه "شروط النهضة" بتوسع ووضوح، ففيه يقول مثلا:" أمّا إذا فقد من نشأته الأب فسيكون الأمر أدهى وأمر، ولسوف يؤول صاغرا إلى ماسح أحذية"، [73]فهذا ما حل بالطفل هادي بعد وفاة والديه.

---

[70]- مالك بن نبي، لبيك: حج الفقراء، ص 34.

[71]- م.ن، ص 68.

[72]- مالك بن نبي، شروط النهضة، م.س، ص 222.

[73]- م.ن، ص 221.

ونتلمس شيئا من السرعة في تطور الأحداث، ولا نجد أيّ عراقيل فكل من إبراهيم والهادي طرأ عليهما تحول سريع، فتحول إبراهيم مثلا قد كان من حلم جسده بسرعة في الحقيقة، وأما تحول الطفل الهادي، فقد كان من إعطائه صفقة لأصدقائه ثم عبوره المركب مباشرة. فالوقت هنا تسارع وأدى إلى الفاعلية.

وتداخلت دلالات الحلم التي أدت بإبراهيم إلى استرجاع انتمائه الحضاري والديني،" فالفرد على هذا يحمل في نفسه لدى مجيئه إلى الدنيا ملخصا لهذه التجارب: فهو يستقبل عند ولادته ميراثا نفسيا معينا، كما يستقبل تراثا حيويا، هذا الميراث هو الذي يكون مجال اللاّشعور[...] والماضي الديني للإنسانية، في نظر يونغ حاضر في نفسية الفرد[...] ويتجلّى في أحلامه على هيئة رموز أو في أفكاره في صورة مجازات لا شعورية ".[74]

فالحلم هو المعبر إلى اللاّشعور والأنا السفلى، وحين يريد الوعي التغيير، ويفكر في ذلك عقله الباطني يجسد له ذلك عن طريق الحلم، وهذا ما مرّ على إبراهيم واستطاع تحقيقه.

ويمكن أن نقف على التحولات الأساسية التي عبرت عنها الرواية، وهي تحولات إيجابية في عمومها، على النحو الآتي: تحوّل إبراهيم من سكير إلى حاج، وتحول الطفل هادي من يتيم ومتشرد إلى حاج صغير يرعاه رجل طيب. كما تغيرت نظرة الجيران إلى إبراهيم بعد توبته، ونظرة زوجته هي الأخرى تغيرت. وهذا كله كان سببه الدين وقوة الغيرة عليه، فحين يتوفر هذا العامل الديني يبني الإنسان نفسه ومن ثمّ حضارته، "وبالمثل لنا الحق في أن نقول: أي العامل الذي يؤثر في مزج العناصر الثلاثة ببعضها البعض [...[هو الفكرة الدينية التي رافقت دائما تركيب الحضارة خلال التاريخ ".[75]

[74]– مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ص 68.

[75]– ينظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 22.

إن نموذجي هادي أو إبراهيم يبيّنان إذن بوضوح شديد كيف يمكن لرجل الفطرة حين يريد أن يتحرك يستطيع أن يصبح رجل حضارة.

كما تناولت الرواية بشدة الفكرة الدينية، لكن لم ينس " مالك بن نبي " ولم يغفل عن الحديث عن أحد أهم التيمات المكونة للحضارة وهي " **الفكرة الثقافية** " لأنّها هي التي تميز بين حضارتنا وحضارة الغير، ونجح " بن نبي" في هذا السياق في الإشارة إلى مسألة " **الهوية** " وهذه الأخيرة تحمي الحضارة من الذوبان والاضمحلال لذا وجب علينا الحفاظ عليها، ومن بين مظاهرها التي تطرق إليها " مالك بن نبي " في روايته نذكر:

- ✓ **قوة الارتباط بين الشعوب المغاربية:**

نستشف بين أسطر الرواية قوة الترابط والمحبة والأخوة بين شعوب المغرب العربي، وتبيّن هذا الأمر من خلال علاقة الحجاج بعضهم مع البعض الآخر. يقول الراوي واصفا قوة ترابط الحجاج وإخائهم:" بدأ الحجاج يتحركون استعدادا للغذاء. كانوا في غدوهم ورواحهم يبتسمون ويتبدلون طريف الكلام الذي أضفى شيئا من الحركة على المركب ".[76]

وظهر رمز الأخوة بينهم حينما تأثر إبراهيم بالرجل التونسي الذي لم يستطع الانضمام لصفوف الحجيج، حيث يقول الراوي:" بكى أيضا لغناء التونسي الشعبي المحمل بالحنين الذي ظل يكرر مقطع النّشيد، متى أعود يا رسول الله ".[77]

وبعد وصول إبراهيم البقاع المقدسة أصبح هدفه ليس الحج فقط، بل البقاء هناك والعمل وكسب المال كي يحضر زوجته إليه وتصبح لحياته معنى، وهذا يدل على القدرة على العيش والتعارف مع الأمم الأخرى، وهكذا يدخل من جديد في مضمار الحضارة.

[76]- مالك بن نبي، لبيك: حج الفقراء، ص 101.
[77]- م.ن، ص 91.

✓ **المعتقدات:**

كما نعلم أنّ داخل كل ثقافة نجد ما يسمى بالمعتقدات، فهي تتوارث عبر الزمان من جيل إلى جيل وهذا الأمر لم يغفل عنه " مالك بن نبي " في روايته حتى وإن أشار إليها فقط بصورة خاطفة ومن بين هذه المعتقدات نذكر:

✓ **القزّانة:**

تعرف بقارئة الفنجان ومعروف عنها أنها عالمة بأمور الغيب، يقول الراوي:" كانت هادئة لأنّ (قزانة) أي قارئة حظ أنبأتها في الصباح أنّ معجزة ستقع في حياتها التي تتألم منها كثيرا، وأنّ سبب معاناتها سيزول".[78] من هنا نفهم ما حلّ بالمجتمع الجزائري من جهل، وعلى الرغم من أنّ الدين الإسلامي يحرم هذه الأمور لكن كانت لها قيمة لدى المجتمع ويؤمن بها.

✓ **المكتوب:**

الإيمان بالمكتوب هو مرتبط بالدين الإسلامي، أي أنّ كل شيء مرتبط بأيادي الله، يقول إبراهيم متأسفا:" آسف عمي محمد، إنه مكتوب على الجبين، والله إنّه مكتوب، آسف لن أقوم بأي إزعاج، سأخلد إلى النوم ".[79]

✓ **البوقالة:**

البوقالة ترمز إلى النصيب والمصير وقد أشار إليها بن نبي في الرواية حين قال: " ذات يوم استيقظت إحدى صبايا المنزل التي كانت في سن الزواج، تطلب فأل خير يحمل لها خبرا عن زواج قريب. لقد أكدت (البوقالة) في الليلة السابقة على: ما تحضره البنات في سن الزواج ويكشفن فيه أسرار قلوبهن ويضعنه قبالة النجوم قبل الذهاب إلى النوم هل سيتزوجني؟ هل سأطلب للزواج هذا العام؟ هذا الشهر؟ وأول صوت يسمعنه بكرة في الشارع قد يحمل في طياته الإجابات عن هذه التساؤلات ".[80]

---

[78]- مالك بن نبي، لبيك: حج الفقراء، ص 47.

[79]- م.ن، ص 33.

[80]- م.ن، ص 47.

والمفكر مالك بن نبي لا ينقد هذه الأفكار، فهو يراها كحاجز أمام التقدم والتطور وتساعد المستعمر في مهمة التحكم في إمكانيات الشعب، فمن هذا القبيل انتقاده التصوف ومهاجمته بشراسة حين قال:" وهكذا أتيح للإصلاح أن يمسك بين يديه مقاليد النهضة الجزائرية، وأمكنه أن يبعثها خلقا آخر بالروح الإسلامية التي تخلصت من كابوس الأوثان ".[81]

✓ **اللباس:**

تحدث " مالك بن نبي" عن شأن اللباس في روايته، لأنّه يعد معيارا ثقافيا يدل على هوية المجتمعات وما يقابلها من مجتمعات أخرى إذ " يمكن أن نقرأ اللباس الذي يلبسه الناس، لا بوصفه قيمة معيشية ضرورية، وإنّما بوصفه صورة ثقافية لها معانيها ودلالاتها "[82]، أصبحت قيمة اللباس إذن غير كامنة في ظاهره، إنّما يحمل أبعادا خفية، فهو أحسن من يعبر عن ثقافة صاحبه، لهذا يعد اللباس جزءًا لا يتجزأ من هوية الفرد والجماعة.

" إنّ التوازن الأخلاقي في مجتمع ما، منوط بمجموعة من العوامل الأدبية والمادية، والملبس هو إحدى تلك العوامل. فالعباءة مثلا من الأشياء التي ورثتها لنا بيئة تميل بروحها إلى التنعم والهدوء ".[83]

وأضاف مالك بن نبي ميزة أخرى لنوع اللباس، حين قال" وليس اللباس من العوامل المادية التي تقر التوازن الأخلاقي في المجتمع فحسب، بل إنه له روحه الخاصة به. وإذا كانوا يقولون: (القميص لا يصنع القسيس) فأني أرى العكس من ذلك [...] لأنّ اللباس يضفي على صاحبه روحه ومن المشاهد أنه عندما يلبس الشخص لباسا رياضيا، فإنه يشعر بأن روحا رياضية تسري في جسده، ولو كان ضعيف البنية"[84].

---

[81]- مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 37-38.

[82]- عبد الله الغذامي، الثقافة التلفزيونية، سقوط النخبة وبروز الشعبي، المركز الثقافي العربي المغرب، ط 2، 2005، ص 99.

[83]- مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 187.

[84]- م.ن، ص 188.

اللباس لا يمس إذن العوامل المادية فحسب، بل تتداخل فيه الروح ويؤثر فيها، فإبراهيم حين ارتدى ملابس الإحرام أول مرة بدأت تظهر عليه ملامح الحاج حتى قال له الشيخ : " يبدو عليك مظهر الحاج، فيك نفحة من نفحات الجنة ".[85]

وفي الرواية وصف للباس إبراهيم الذي كان يتغير مع تغير حال إبراهيم، وكان يعكس دائما تلك الحالة، ففي أول مرة كان يلبس ملابس قديمة، "كان يرتدي مئزرا طويلا يصل إلى الكعب ومنتعلا حذاءً قماشيا ويضع على رأسه شاشية متآكلة وعليها دسم القرف "[86]، فبهذا الوصف يكون قد عبرّ عن حاله التي مثلت الفقر والضياع.

أمّا بعد توبته فنلحظ تغييرا في نوع لباسه الذي عكس تغييرا آخر على مستوى ثقافته، وهذا مسّ أيضا بهويته وهو لباس الإحرام، وهذا ما يظهره قول الإمام آمرا رفاقه:"يجب أن ندخل إلى الحمام لكي نرتدي لباس الإحرام فنحن داخلون إلى الأراضي المقدسة"[87]، وهذا اللباس مرتبط بالحج؛ والحج فريضة إسلامية، والثقافة التي جسدها هي الدين ويعتبر هذا الأخير من عناصر الهوية الجزائرية.

أمّا الطفل هادي فوصفه الراوي بأنه " يرتدي سروالا كثرت ثقوبه"[88]، ونفهم من هذا أنّ هادي عاش متشردا وفقيرا، ويرمز إلى ما مارسه الاستعمار الفرنسي على الأطفال وكيف حرمهم من هويتهم وطفولتهم.

- ✓ **الأكل:**

يلعب الطعام دورا هاما في حمل الثقافات، ومن خلاله يمكن أن نحكم على ثقافات الشعوب ولكل شعب ميزته الخاصة في نوع طعامه، ولقد تطرق مالك بن نبي إلى هذا الموضوع في روايته، وظهر ذلك حينما استعدّ الحجاج للغذاء كل حسب

[85]- مالك بن نبي، لبيك: حج الفقراء، ص 67.
[86]- م.ن، ص 34.
[87]- م.ن، ص 151.
[88]- م.ن، ص 72.

انتمائه وطبقته الاجتماعية، ومن ثم يصبح للطعام دلالات عدة. يقول الرواي:" كان كل منهم قد استخرج شيئا من مؤونته، خاصة الحلويات التي اعتاد الحجاج حملها معهم، في الماضي عندما كان الحج يأخذ وقتا أطول كان الحجاج يحملون معهم تموينا كاملا يشمل حتى الملح والفلفل، وكانوا يحضّرون طعامهم بأنفسهم. أمّا اليوم فالمؤونة اقتصرت على كعك وحلويات تحملها العائلات لحجاجهم، من البقلاوة الخاصة بالعائلات الغنية، و(المقروض) لقاطن المدينة والفقير، أمّا (الرفيس) فللريفي. أما مجموعة إبراهيم التي تحلقت حول الطعام، فلم يكن عندها غير المقروض والرفيس وهذا يدل على تنوع أفراد المجموعة وبساطتهم ".[89]

نستخلص أنّ الطعام ينقسم إلى طبقات كما ينقسم الناس كذلك، فمن الناس الغني الذي أشارت إليه الرواية بأنه يأكل البقلاوة، وأما المقروض فمرتبط بابن المدينة، لكن لم تغفل الرواية عن الإشارة بأنه أكل الفقير أيضا، وهذا يشير إلى أنّ الفقر موجود بالمدن ولم يقتصر على سكان الأرياف فقط.

والرواية قد فرقت في الأخير بين ما يتناوله الغني والفقير وابن الريف، ورغم كل هذا الاختلاف تظل لهذه الأكلات دلالتها الثقافية التي تميّزت بها الجزائر.

وبعد ذكر الطعام من حيث الدلالة المادية والاجتماعية، انتقلت الرواية إلى دلالة أهم وأعمق وهي الدلالة الدينية، حيث يقول الراوي:" كان الإمام الرقيب على الطعام، إذ أخذ ملعقته وتناول بها كل قطع اللحم ثم أصدر قرارا: ليس هذا لحم خنزير، وكرر إبراهيم الكلام نفسه قائلا: أنا متأكد من أنّ اللحم ليس لحم خنزير فقد رأيتهم يذبحون خرفانا وفقا للشريعة ".[90]

ويعتبر هذا الفعل الذي قام به الإمام الرقيب بمثابة ردة فعل الحجاج المسلمين، لأنّ لحم الخنزير محرم، وربان المركب هم من المجتمع الأوروبي، فكان لهم الحق في التردد وتفحص الطعام قبل تناوله.

---

[89]- مالك بن نبي، لبيك: حج الفقراء، ص 101-102.

[90]- م.ن، ص 102.

✓ **الأنا والآخر:**

صوّر لنا " مالك بن نبي" في نص الرواية المشهد أو الحوار الديني القائم بين الحجاج والبحار الفرنسي الذي دفعه فضوله ليكتشف ما يشعر به المسلمون اتجاه دينهم وعند أدائهم فريضة الحج، وهذا يكشف لنا التنافر القائم بين (الأنا والآخر)، الأنا (الجزائرية) والآخر (الفرنسي).

"كان هناك بحار دفعه الفضول إلى الاقتراب من مجموعة إبراهيم، كان متكئا على المترسة يبحث عن شيء يقوله ليشاطرهم الحديث".[91] ونلاحظ في ثنايا حوار جرى بين البحار وإبراهيم أن البحار قصد إلى إظهار إلحاده حين قال:" ماذا يمكن للدين أن يبني لو فرضنا أنّ هناك دينا عالميا؟"[92] ومباشرة تدخل الحاج المثقف المسلم وردّ عليه بأجوبة عفوية وأصمته، فالأنا في هذا الحوار انتصرت على الآخر بالحجة والبرهان، وكشف أنّ البلدان المتحضرة هي التي سلبت السعادة في البلدان المستعمرة، فـ" مصاعب الحياة والصراعات والبؤس ليست وليدة المصادفة ولا من صنع الله، كل هذا هو نتاج المدينة المتحضرة التي خالفت القوانين الأساسية للسعادة ".[93] ومن أهداف " بن نبي " في هذا الحوار هو وضع القارئ الأجنبي داخل أجواء الحج.

استطاع الحاج المثقف أن يجيب البحار ويبين له وجود دين واحد فقط ورب واحد هو الله حيث يقول:"بالنسبة إليّ نعم ولكن بالنسبة إليكم فالأمر ليس كذلك، عندما تقولون الله يذهب بكم تفكيركم إلى صنم يعبده المسلمون، لكن حين تقولون الربّ فسيتبادر إلى أذهانكم الشيء نفسه عندما نقول نحن (الله)".[94]

وهذا الموضوع تناوله مالك بن نبي في كتابه " الظاهرة القرآنية " حين قال مثلا:" بينما اتجه الوحي القرآني إلى أن يقرر النتيجة الحاسمة للفكرة التوحيدية:(الله واحد، مخالف للحوادث، رب للعالمين). فأخرج بهذه الطريقة الحاسمة ذات الله جلّ شأنه من

---

[91]- مالك بن نبي، لبيك: حج الفقراء، ص 103.

[92]- م.ن، ص 108.

[93]- م.ن، ص 107.

[94]- م.ن، ص 106.

نطاق الأنانية اليهودية، والتعدد المسيحي. ولقد تقررت هذه العقيدة الجوهرية للإسلام الموحد في سورة من أربع آيات: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص/ 112] "[95]. من دون أيّ تعقيد أو تأويل لأنّ في القرآن كل شيء واضح وهو البرهان على أن الربّ واحد هو الله تعالى.

وأراد أيضا بن نبي أن يعكس لنا شيئا أكثر أهمية وهو النظرة الدونية التي ينظر بها الأوروبيون إلى المسلمين باعتبارهم أناس أميين غير مثقفين، ويظهر هذا في قول البحار:" من دون شك أنت مؤمن بما أنك متجه إلى مكة، ولكن عند النقاش معك تعطي انطباعا بأنّك رجل مثقف ومتعلم وحريّ بك ألاّ تكون مؤمنا ".[96]

والأوروبي يسعى دائما إلى أن يُظهر أنّ لا ثقافة عند المسلمين، وتناول هذا الموضوع " بن نبي " وتحدث عنه في كتابه " الظاهرة القرآنية "، يقول مثلا:"وتولد عن هذه العقيدة التفسير المسيحي الذي سيقبس من الثقافة الإسلامية المنطق الأرسطي، لكي ينشئ عقيدة دينية ثالوثية، قائمة على سر الثالوث الأقدس".[97]فهذا أمر خاطئ لأنّ الوطن العربي له ثقافته، وليست شعوبه خاضعة للغرب رغم كل الحقب الاستعمارية المصحوبة بالدعوات التنصيرية، فلم تستسلم أمامها وكافحت من أجل حضارتها.

[95]– مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق–سوريا، ط 4، 1987، ص 201.

[96]– مالك بن نبي، لبيك: حج الفقراء، ص 108–109.

[97]– مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص 201.

خاتمـــــــة

خاتمة

تم إتمام هذا البحث بعد بحث وجهد ، وذلك بفضل الله وفضل الأستاذ المشرف، حيث تطرقنا إلى البحث عن البعد الفلسفي في رواية جزائرية موسومة " رواية لبيك: حج الفقراء " " لمالك بن نبي " لنستخلص في الختام جملة من أهم النتائج التي سأعرضها كالآتي:

- تعد رواية لبيك: حج الفقراء الرواية الوحيدة لمالك بن نبي وكتبت بالفرنسية سنة 1947م وترجمها زيدان خوليف سنة 2009م.
- تعدد المفاهيم الاصطلاحية للفلسفة عند الغرب وعند العرب.
- الجدل القائم حول الفلسفة وإلى من تعود أصولها أو جذورها الحقيقية، حيث إن الفلسفة ليست حكرا على الغرب وحدهم بل كان للحضارة الإسلامية نصيب وافر منها.
- هناك من يؤمن بظهور الفلسفة في اليونان وآخرون رأي مخالف وهو أنّ تاريخ الفلسفة أصله في الشرق القديم.
- للفلسفة دور هام في حياة الإنسان فهي ظاهرة فطرية طبيعية.
- اكتسب مصطلح الرواية عدة تعريفات كونها فن نثري غير واضح الدلالة.
- الرواية تدرس كل مواضيع الحياة ومرتبطة بالواقع في كل جوانبه.
- الرواية فتحت للمفكر حرية التفسير والتأويل وإيصال أفكاره إلى عامة الناس.
- من خلال تحليلي لرواية "لبيك: حج الفقراء" استنتجت أنّ الرواية هي التي تزيل الغموض وتبسط المعنى الفلسفي وتقربه من الحقيقة.
- الرواية الفلسفية تدفعك إلى قراءة النصوص الفلسفية نفسها.
- من المعالم الكبرى لفلسفة " مالك بن نبي " هي الحضارة.

- من أهم عناصر تكوين الحضارة عند مالك بن نبي هي الإنسان والتراب والوقت والفكرة الدينية هي التي تشحنه.
- عنوان الرواية " لبيك: حج الفقراء " ذو طابع رمزي يوحي إلى العديد من المدلولات ومنه يمكن استخلاص مضمون النص.
- صفحة الغلاف مليئة بالمعاني وكأنها ملخص لما أراد " مالك بن نبي " ايصاله لنا.
- كل شخصية جسدت بعدها الفلسفي ولكل اسم رمزه وساهمت في تعرية الواقع الجزائري إبان الفترة الاستعمارية.
- ركز الروائي على شخصيتين رئيسيتين جسد منهما واقع الجزائر خلال الاستعمار الفرنسي وكيف كان للدين مكانة عظيمة.
- كان للزمان والمكان في الرواية حضورا بارزا وساعد في تحريك الأحداث.
- تميزت الرواية بطابع فلسفي لأنها تناولت أفكار " بن نبي " الفلسفية.
- جسدت لنا الرواية حالة الشعب الجزائري خلال فترة من تاريخ الجزائر، واستطاع " بن نبي " أن يقدم لنا وصفا للمجتمع الجزائري بأصالته وكيف يحافظ على هويته وتراثه ودينه.
- بينت أحداث الرواية دور الدين الإسلامي في تكامل القيم الإسلامية وهي الحق والخير والجمال، وقد قدم مثال السكير الذي غيره الحج إلى رجل مؤمن وتكفل بتربية طفل يتيم .
- لن تفهم مدى تجلي الفلسفة وحضورها في الرواية إلاّ بعد قراءة أعمال " مالك بن نبي ".
- أراد " بن نبي " أن يذكرنا أنّ قيمنا وهويتنا هي طريق نهضتنا.
- مهما انتشرت الثقافة الغربية عند المسلمين لكن قوة الدين تنتصر في النهاية.

- هناك ترابط قوي بين فلسفة " مالك بن " وبين وروايته.
- " مالك بن نبي " روائي لكن أكمل مسيرته أديبا في تدوين أفكاره الحضارية دون مداورة وبشكل مباشر في كتاباته.

وفي الأخير أرجو أنني أوفيت البحث حقه ولو بجزء يسير، فإن أصبت من الله وتوفيقه وإن أخطئت فمن نفسي.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

- بن نبي مالك، لبيك: حج الفقراء،تر: زيدان خوليف، دار الفكر، دمشق، ط 1، 2009.

المراجع:

- باختين ميخائيل، الملحمة والرواية، ترجمة وتقديم: جمال شحيذ،كتاب الفكر العربي 3، بيروت 1982.
- بلال عبد الرزاق، مدخل إلى عتبات النص: دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، بيروت لبنان (د.ط)، 2000.
- بن نبي مالك، أفاق جزائرية، مكتبة النهضة الجزائرية، د.ط.ت.
- بن نبي مالك، الظاهرة القرآنية، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق–سوريا، ط 4، 1987.
- بن نبي مالك، القضايا الكبرى، دار الفكر دمشق، سورية، ط 1، 1991.
- بن نبي مالك، النجدة، المطبعة العالمية، القاهرة، 1957، الجزائر.
- بن نبي مالك، شروط النهضة، تر:عبد الصبور شاهين، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، 1986.
- بن نبي مالك، شروط النهضة، دار الفكر، سوريا، ط 9، 2009.

بن نبي مالك، فكرة الأفريقية، الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، دار الفكر، سوريا، ط9، 2009.

- بن نبي مالك، مذكرات شاهد القرن، دار الفكر، بيروت، 1969.

- بن نبي مالك، ميلاد مجتمع، تر: عبد الصبور شاهين، بإشراف: ندوة مالك بن نبي، دار الفكر الجزائر، ط 3، 1986.
- بودبوس رجب، تبسيط الفلسفة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان بنغازي، ط 1، د. ت.
- ربيع محمد محمود، مناهج البحث في العلوم السياسية، المكتبة الشاملة، مكتبة الفلاح الكويت، ط 2.
- الريحاني أمين، أنتم الشعراء، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، د.ط، 2013.
- سعود الطاهر، التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط1، 2006.
- شبلول أحمد فضل، الحياة في الرواية قراءة في الرواية العربية و المترجمة، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، إسكندرية، مصر، د ت.
- شيا محمد شفيق، في الأدب الفلسفي، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر بيروت لبنان، ط 1، 2009.
- الصالح عبد الحميد، مبادئ الفلسفة، د ط ، د ت.
- ضيف الله بشير، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2003.
- علي حسين، ما هي الفلسفة؟ دار النشر التنوير والطباعة والنشر، بيروت، لبنان،2011.
- الغذامي عبد الله، الثقافة التلفزيونية، سقوط النخبة وبروز الشعبي، المركز الثقافي العربي المغرب، ط 2، 2005.
- مردوخ أيريس، نزهة فلسفية في غابة الأدب، تر لطيفة الدليمي، دار المدى.
- مردين عزيزة، القصة والرواية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1971.
- مكاوي عبد الغفار، دعوة للفلسفة، كتاب مفقود لأرسطو، دار النشر مؤسسة هنداوي،1987.

- واربرتون نايجل، مختصر تاريخ الفلسفلة، تر: محمد مفضل، ط1، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، العراق– بغداد.

المعاجم:

- ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ج14، ط1، 2003.
- الجوهري إسماعيل بن أحمد، تاج اللغة العربي الحديث، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط 2، 1989، ج 6.
- الفراهيدي الخليل بن أحمد، كتاب العين، تح:عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان،ج2، ط1، 2003.

المجلات:

- أبو هاشم جهاد، جريدة العرب الاقتصادية الدولية، الرواية و الفلسفة اتهامات بالثرثرة وعتاب لا يصل إلى القطيعة، الرياض، 2020.
- حجاج رياض، جمالية الارتحال عبر الأجناس الأدبية في رواية الرحلة الهنتاتية لعبد القادر الطيفي، م 07، ع 01، جامعة قابس، 2023.
- رزوقي كمال، نزعة التنوير عند السوفطائيين، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، م 11، ع 03، 2020.
- سنوسي فضيلة، التضايف بين الفلسفة و الأدب من فلسفة الأدب إلى أدب الفلسفة، مجلة رفوف، م 11، ع 01، جامعة أدرار الجزائر، 2023.

- طيباوي سعاد، قراءة مالك بن نبي للأخر الغربي في ظل التخلف الحضاري، مجلة الاستيعاب، م 03، ع 03، 2020.
- عنيات عبد الكريم، قرفي إيمان، الرواية الفلسفية عند إرفين يالوم، مجلة التدوين، م 12، ع 02، 2020.
- قيسمون جميلة، الشخصية في القصة، مجلة العلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، العدد6، 2006.
- كحول شعبان، مومني السّعيد، (تمازج الفكريّ و الجماليّ بين الفلسفة و الأدب). مجلة اللغة العربية ، م 25، ع 02، 2021.
- مرين أحمد، بشير خليفي، الرواية الفلسفية من لغة الفكر إلى واقع المجتمع، مجلة الحوار الثقافي، مخبر البحوث الاجتماعية و التاريخية، م 11، ع 01، 2022.
- مصطفاوي جلال، قراءة في الأدب الفلسفي، مجلة التدوين، م 12، ع 02،2020.

المذكرات:

- عطوي ياسين، المفكر مالك بن نبي حياته وأعماله، مذكرة ماستر، المشرف: أ.عبد القادر خليقي. تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2015-2016.
- قواسمي سمية، التربية والحضارة في فكر مالك بن نبي، مذكرة ماستر، جامعلة محمد خيضر بسكرة، قيم العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص 16-23، المشرف: حمدي لكحل.

مواقع الأنترنت:

- حجازي هناء، الفلسفة والرواية، جريدة الرياض، جريدة يومية تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية، 23-09-2021، www.alriyadh.com.
- الحسني محمد الهادي، مالك بن نبي المولد والنشأة، موقع BINNABINET.WWW ، DETAIL.RABRIQUE ، تاريخ التصفح 2016/02/16.
- حمداوي جميل، سوسيولوجيا الأدب والنقد، شبكة الألوكة، www.almouthaqaf.com

فهرس المحتـــــــــــــويات

مقدمة..... أ

الفصل الأوّل:

تمازج الفلسفيّ والأدبيّ: أشكاله وتاريخه وأهدافه

تمهيـــــد..... 10

المبحث الأول: مفهوم الفلسفة ونشأتها وأنواعها..... 11

أولا: مفهوم الفلسفة:..... 11

ثانيا: النّشأة والتطور..... 13

ثالثا: ميادين البحث الفلسفي..... 15

رابعا: أهداف الفلسفة وأهميتها..... 16

المبحث الثاني: الفلسفة والرواية: بحث في العلاقات..... 18

أولا: مفهوم الرواية..... 20

ثانيا: العلاقة ين الفلسفة والأدب..... 20

ثالثا: بين الرواية والفلسفة..... 22

رابعا: دواعي توظيف الفلسفة في الرواية..... 24

المبحث الثالث: مالك بن نبي سيرة وفكر 26

أولا: مولده وحياته..... 26

ثانيا: المعالم الكبرى لفلسفة "مالك بن نبي"..... 29

الفصل الثّاني

تمظهرات فلسفة مالك بن نبي في روايته "لبيك: حج الفقراء"

المبحث الأول: دراسة البعد الفلسفي على مستوى العتبات النصية 40

أولا: دراسة العنوان 40

ثانيا: دراسة صورة الغلاف..... 41
المبحث الثاني: دراسة الأبعاد الفلسفية على مستوى المتن..... 44
أولا: البعد الفلسفي على مستوى الشخصيات 44
ثانيا: البعد الفلسفي على مستوى المكان 53
ثالثا: دراسة البعد الفلسفي على مستوى الزمان..... 56
المبحث الثالث: التيمات الفرعية لبناء الحضارة عند مالك بن نبي 58
خاتمة..... 69
قائمة المصادر والمراجع..... 73

ملخص البحث

تطرقت من خلال هذا البحث إلى تحليل رواية " لبيك: حج الفقراء" " لمالك بن نبي "، بهدف الكشف عن البعد الفلسفي في الرواية، وذلك بالعودة إلى أهم محاور فلسفة " مالك بن نبي ".

واشتملت هذه الدراسة على مقدمة وفصلين، تطرقت في الفصل الأول حول الفلسفة ونشأتها وأنواعها وبحث في العلاقات بين الفلسفة والرواية وأشرت إلى سيرة وفكر " مالك بن نبي "، أمّا الفصل الثاني خصصته للكشف عن التجليات الفلسفية في رواية " لبيك: حج الفقراء "، وذلك بالتطرق إلى العتبات النصية والمتن والتيمات الفرعية لبناء الحضارة.

وأنهيت البحث بخاتمة تشمل أهم النتائج التي خلصت إليها.

الكلمات المفتاحية: البعد الفلسفي، الفلسفة والرواية، مالك بن نبي، لبيك:حج الفقراء، الحضارة.

Résumé

A travers cette recherche, j’ai analysé le roman « Labbaik : Le pèlerinage des pauvres » de Malek Bennabi, dans le but de révéler la dimension philosophique du roman, en revenant sur les axes les plus importants de la philosophie de Malek Bennabi.

Cette étude comprenait une introduction et deux chapitres. Dans le premier chapitre, j'ai abordé la philosophie, ses origines et ses types, et j'ai étudié les relations entre la philosophie et le roman, et j'ai fait référence à la biographie et à la pensée de « Malik Bennabi ». Dans ce chapitre, je l’ai consacré à révéler les manifestations philosophiques du roman « Labbaik : Le pèlerinage des pauvres », en abordant les seuils textuels, le corps et les sous-thèmes de la construction de la civilisation.

J'ai terminé la recherche avec une conclusion qui inclut les résultats les plus importants auxquels j'ai atteint.

ملخص البحث

تطرقت من خلال هذا البحث إلى تحليل رواية " لبيك: حج الفقراء" " لمالك بن نبي "، بهدف الكشف عن البعد الفلسفي في الرواية، وذلك بالعودة إلى أهم محاور فلسفة " مالك بن نبي ".

واشتملت هذه الدراسة على مقدمة وفصلين، تطرقت في الفصل الأول حول الفلسفة ونشأتها وأنواعها وبحث في العلاقات بين الفلسفة والرواية وأشرت إلى سيرة وفكر " مالك بن نبي "، أمّا الفصل الثاني خصصته للكشف عن التجليات الفلسفية في رواية " لبيك: حج الفقراء "، وذلك بالتطرق إلى العتبات النصية والمتن والتيمات الفرعية لبناء الحضارة.

وأنهيت البحث بخاتمة تشمل أهم النتائج التي خلصت إليها.

الكلمات المفتاحية: البعد الفلسفي، الفلسفة والرواية، مالك بن نبي، لبيك:حج الفقراء، الحضارة.

Résumé

A travers cette recherche, j’ai analysé le roman « Labbaik : Le pèlerinage des pauvres » de Malek Bennabi, dans le but de révéler la dimension philosophique du roman, en revenant sur les axes les plus importants de la philosophie de Malek Bennabi.

Cette étude comprenait une introduction et deux chapitres. Dans le premier chapitre, j'ai abordé la philosophie, ses origines et ses types, et j'ai étudié les relations entre la philosophie et le roman, et j'ai fait référence à la biographie et à la pensée de « Malik Bennabi ». Dans ce chapitre, je l’ai consacré à révéler les manifestations philosophiques du roman « Labbaik : Le pèlerinage des pauvres », en abordant les seuils textuels, le corps et les sous-thèmes de la construction de la civilisation.

J'ai terminé la recherche avec une conclusion qui inclut les résultats les plus importants auxquels j'ai atteint.